السنة الحادية عشرة　العدد ٨　آب　سنة ١٩٠٨

المشرق

السيد اثناسيوس سفر العطّار المارديني

بقلم حضرة القس اسحق ارملة السرياني الكاثوليكي

لما اوشك نبراس الكثلكة الكاثوليكية ان يخبو في الامة السريانية وصارت على شفا الانقراض والاضمحلال اراد الله عزَّ وجلَّ ان يعيد اليها نضارتها السابقة فاقام في اوائل القرن السابع عشر واواخره اناساً شهيرين اجلّاء تغايروا على زيادة مجده وسعوا السعي الحثيث في توسيع نطاقه . وقد اشتهرت بذلك مدينة ماردين خاصّة فان تربتها الصالحة انبتت كماةً ذبّوا عن الدين القويم وكبتوا انصار الضلال فطار ذكرهم في الآفاق واستحقّوا اطيب الثناء واطول الشكر واصبح وطنهم يفاخر بهم ويتمدح بخصالهم ويباهي بمناقبهم . واننا لنضرب صفحاً عن تعداد القديسين وأيمة العلماء الذين خرجوا منها ونأتي الى ذكر المتازين بالفضل والفضيلة في اوائل الكثلكة فقط

فقد ورد في اخبار الطائفة الارمنيّة الكاثوليكية (١) ان السيد ملكون طازباز امام احبارها وشهيد ايمانها ذا المناقب الحسناء والخصال الحميدة هو اوّل من ألقى بذر الكثلكة الارمنيّة وعكف على سقيه بهمّة لم يعتورها ملل . وعليه قرأ العلوم ستة اعوام ابراهيم ارزيڤيان العينتابيّ اوّل بطاركة قيليقية على الارمن الكاثوليك وبواسطته اعتنق الارمن الكثلكة اعتناقاً ثابتاً بعد تردُّدهم . وقد نالته شدائد فادحة ومحن كثيرة ولشدة حرصه على الايمان البطرسي ابعدهُ اعداؤهُ عن وطنه وبقي منفيًا الى ان توفّاه الله عام ١٧١٤

(١) المشرق (٣: ٥٢)

وفي الطائفة الكلدانيّة العريقة في القدم في تلك البلدة اشتهر القس جبرائيل دمبو (١ القديس الابرّ والبطل القدام والشهيد العظيم الذي اسس الرهبانيّة الانطونيّة الكلدانيّة ونال من غريغوريوس السادس عشر تثبيتها . وقام منها رجال فضل امتازوا بالتقى وازدانوا بالمعارف . ولم يبرح يتجشم الاتعاب حبًّا بفلاحها وتوطيدها حتى فاز باكليل الشهادة عام ١٨٣٢

اما الذين امتازوا في طائفتنا السريانية بالمناضلة عن الدين الحقّ وبثّ كلمة الله فهم كثيرون: منهم اغناطيوس اندراوس اخيجان الذي أُقيم بطريركًا في ٢٠ آب ١٦٦٢ توجّه من حلب الى بلاد ما بين النهرين حتى وصل الى ماردين وطنهِ فاجتمع اذ ذاك بالكثلكيين نخصّ بالذكر منهم ارسان والشماس سليمان نجلّي الخوري سفر والشماس عبد النور وحنا العطّار وسواهم وكانوا يتردّدون خفيةً الى بيعة الكلدان . وقبل مبارحة البطريرك ماردين رغب ان يرسم لهم قسيساً فانتخبوا الشماس سفر ابن المقدسي حنا العطّار الذي همّنا بان ننشر قصتهُ (٢ . وكان آنئذٍ مقيماً في تفليس فوعدوه بارسالهِ اليهِ واشاروا عليهِ ان يعدل عن التوجه الى الموصل فعاد الى حلب وقصّ على المرسلين خبر رحلتهِ واوضح بان الامل وطيد في اكتساب قاطني تلك البلاد الى الديانة الكاثوليكيّة

اما الشماس سفر صاحب الترجمة ففي سنة ١٦٧٧ اتى الى ماردين وعمرهُ اذ ذاك سبع وثلاثون سنة فارسلهُ الاهالي الى حلب ليقتبل الكهنوت من البطريرك المنبوط انجازًا للعهود بيد انهُ لسوء الجدّ لما وصل الى حلب ألفى البطريرك طريح الفراش. وما عتم ان انتقل الى الاخدار السماويّة بعد ايام معدودة . فتخلّف الشماس سفر في حلب حتى قام البطريرك بطرس الرابع المذكور في الخبر فتوجه الى الاستانة العليّة ليستردّ الكنيسة من يد عبد المسيح بطريرك اليعاقبة الدخيل

وعام ١٦٧٩ اتى الى حلب السيد فرنسيس پيكات (Fr. Picquet) قاصدًا

---

١) المشرق (٣: ٨٨٦)

٢) اننا نثني اطيب الثناء على سيادة مار افرام نقاشه مطران حلب الجليل الذي تنازل واجاب الى بعض سوالات التمسناها من سيادته . وهي مدرجة بالضبط والتماه في القسم الثالث من تاريخه الكبير

بابل وبلاد الفرس (١ فاتخذ الشماس سفر ترجمانًا له مدّة اقامته بحلب وعام ١٦٨٢ توجه السيد پيكات الى ابرشيته وترك الشماس سفر ترجمانهُ ينتظر هدايا لويس الرابع عشر ملك فرنسا ليحملها الى صوفي شاه العجم ويترقب قدوم البطريرك المغبوط لترقيته الى الدرجة الكهنوتيّة

فلمّا رجع البطريرك غانمًا ظافرًا الى حلب رسمهُ في تلك السنة قسيسًا مع ثلاثة شمامسة كانوا قد قرأوا العلوم في المدرسة الاوربانيّة وارسلهُ من ساعته الى اصفهان حاملًا الهدايا الى السيد پيكات . واستمرّ القس الجديد معهُ سنتين ثم آب الى حلب في تموز ١٦٨٤ حاملًا رسائل توصية من السيد المذكور (الذي كان حينئذٍ في همذان) الواحدة الى ملك فرنسا والاخرى الى الاب سيڤن في رومة واليك نصها : «اكتب اليك بواسطة القس سفر . أوصِ المجمع المقدَّس ان يحتفي به ويكرم مثواه ويعوّضهُ من النفقات التي انفقها . . اعلم انهُ ريّان من العلوم الشرقية قدير على انشاء الخطب بالعربيّة والتركيّة وقد نُدب مرارًا الى الاسقفية (٢ »

فلمّا وصل الى حلب اغتنم الفرصة مار بطرس الرابع ورقّاه الى الدرجة الاسقفيّة ودعاه باسم اثناسيوس سفر ووكل اليهِ رعاية ماردين ونصيبين ونواحيها . ودفع بيده كتاب السوسطاثيقون (٣ واليك نسختهُ بتصرُّف :

اغناطيوس بطرس الضئيل عبد عبيد الرب يسوع المسيح وبرحمته تعالى السابغة بطريرك الكرسي الانطاكي

نهدي السلام والتحيات والصلوات والبركات الى اولادنا المحبوبين المباركين الكهنة والشمامسة والاراكنة والمشايخ والرجال والنساء والشبان والاطفال الذين هم تحت ظلّ مراحم القدوس مستترون وفي مدينة ماردين العامرة ساكنون اعني الثلاث مراعيث (خورنيّات) مرعيث الاربعين شهيدًا ومرعيث مَرت شموني ومرعيث مار ميخائيل وسائر القرى اي القصور وقلعة المرأة والمنصوريّة وبنابيل ودير هليا وكليث وقرى مشوق والابراهيمية وما يليها من القرى فلتحرسهم

١) المشرق (٧ : ٨٧٩)

٢) الآثار الحليّة للاب انطون رباط اليسوعي (جزء ١ ص ١٠٤)

٣) السوسطاثيقون (Συστατικόν) كلمة يونانيّة تفسيرها رسالة التوصية ويراد بها الكتاب الذي يدفعهُ البطريرك بيد الاسقف الذي يرسمهُ حديثًا دلالة على تأييد الرسامة

النعاية الربانيّة وتحفظهم بالملائكة المقرّبين آمين . اما بعد فننهي الى اماننكم الصادقة بان معلم الاسرار الالهيّة بولس الرسول هتف قائلًا : « ليس الامر بيد من يشاء ولا بيد من يسعى بل بيد الله المترحم (رومية ٩ : ١٦) الذي من عنده تهبط كل عطية صالحة وكل موهبة كاملة (يعقوب ١ : ١٧) بوساطة الروح القدس الذي لمّا رآنا مرتبكين في امر انتخاب راعٍ صالح ومدبّر فالح لتبيعةٍ على كنش (جماعة) ماردين المبارك التي هي منذ القدم فخر المراتب وبها يفتخر كل المؤمنين من اجل ايمان سكّانها وغيرتهم على حفظ القوانين الرسليّة والنواميس المقدسة والاوامر الانجيلية ألهمنا ان نختار لكم اسقفًا يرعاكم فلمحنا شخص ولدنا المبارك الاسقف سفر واتمش خاطرنا به وفاضت محبتنا عليه كما فاضت قارورة الطيب بيد صموئيل النبي على داود (١ ملوك ١٦ : ١٣) وتراءى لنا ان هذا المنتخب هو مسكن للروح القدس وقد اصطفاه الربّ من حشا امه لهذه الخدمة . وانهُ يستحق الرئاسة الكهنوتية بكل صواب من اجل كماله بالمحاسن والاعمال المجيدة والفضائل المبهجة المتنوّعة والعلوم الربانيّة والمالية وتفاسير الكتب المقدسة . ولذلك تواترت الاصوات وتوالت لكون دعوته من روح القدس فدُعي مار اثناسيوس ويستحق الاسم كما استحق الدعوة . والآن زعقنا نحن والاساقفة الحاضرون « اكسيوس اكسيوس اكسيوس » يستحق ويستوجب الراعي ورئيس الكهنة مار اثناسيوس . وقد أُعطي السلطة من روح القدس بواسطة حقارتنا مثل الرسل القديسين ان يربط ويحلّ ويحكم ويكرّس قسوسًا وشمامسة ورهبانًا ويقدّس مذابح وكنائس ويأخذ من الزيجات حق القلّاية من مرعيث ماردين و... يليها . فالذي يُربَط ويُجرم من هذا الاسقف يكون مربوطًا ومحرومًا من الله ومن حقارتنا . وليس لهُ غفران الّا من هذا الاسقف . والذي يبارك عليه يقبل البركات من الله والصلوات من ضعفنا

ويجب عليكم ان تفرحوا وتشكروا الله وتحملوا اغصان الشعانين وتستقبلوا هذا الراعي الصالح وتصرخوا قائلين « اكسيوس اكسيوس اكسيوس » . مثلما زعقنا نحن والاساقفة في وقت تكليله . واعلموا اننا قد وضعنا كلمتنا في فمه فينبغي ان تسمعوا له وتوقروه . ونتوسّل اليه تعالى ان يكون قدومهُ اليكم مباركًا . به يتمّ فرحكم ويضمحلّ حزنكم وتنمو اثماركم وتنجح اعمالكم وتزكو غلاتكم وتُغفَر آثامكم وتتربّى اطفالكم

ونعلمكم اننا قد وصّينا ولدنا السيد مار اثناسيوس ان يسلك طريق الحق ولا يخترع بدعة او عوائد غير معيّنة بل يسير في طريق الآباء القدماء ولا يطلب من احد شيئًا فوق طاقتهِ . ولا يزدري بطقس الكهنوت ويعتني بالبرطيل وعدم الفطنة ونبالغ في الوصيّة بان تزدادوا محبة نحو اسقفكم وتساعدوه في عمارة البيع والاماكن المقدّسة ونسأل الله ان يحرسكم ويحفظ اولادكم ويسكن امواتكم في مجالس الجنان مع ابينا ابراهيم واسحق ويعقوب بشفاعة معدن الطهر والبركات ام النور الاعظم والحياة القديسة مريم العذراء والدة الله ومار فطرس وفولس وكافة الشهداء والقديسين آمين والمجد لله دائمًا

١) هنا يذكر الاسم الجديد الذي اتّخذه

وذيّل السوسطاثيقون بامضائهِ وختمه ديونوسيوس رزق‌الله امير خان مطران حلب. وفي آخره كتب غبطة البطريرك ما نصهُ : « لما كانت سنة ١٦٨٥ ثبتنا هذا السوسطاثيقون الذي بيد الاب المكرَّم ولدنا العزيز المبارك مار اثناسيوس سفر ابن المرحوم مقدسي حنا على مدينة العامرة ماردين ونصيبين وسائر القرى وزعقنا مع الآباء والكهنة ثلاث مرات: « أكسيوس » . والربّ الاله يجعلهُ مباركًا وسعيدًا الى ابد الآبدين آمين » . وهذا السوسطاثيقون محفوظ الى اليوم بكل اجلال في مكتبة مدرسة الشرفة

فاخذ الحبر الجديد كتاب تثبيتهِ اسقفًا ويمّم باريس قيامًا بما عهد اليهِ السيد بيكات في ايصال الرسائل الى ملك فرنسا . فلمّا حضر امامهُ رابهُ امرهُ وتحيَّر في شأنهِ لانهُ شاهدهُ بزي اسقف مع ان السيد بيكات حرَّر بكونه قسيسًا. بيد انهُ وقف على كنه المسألة وتبين انهُ اسقف عند اطلاعهِ على السوسطاثيقون البطريركي الذي كان دفعهُ اليهِ مار بطرس الرابع وحينئذٍ هشَّ لهُ واحلَّهُ في بلاطهِ ضيفًا كريمًا واعزَّهُ جدًا ولما عزم على الذهاب الى رومة سلَّمهُ كذلك رسائل توصية الى قداسة البابا انوكنتيوس الثاني عشر بشأنهِ وشأن نصارى البلاد الفارسيَّة . فقوبل ايضًا بالاكرام والترحاب

ولما كان اثناسيوس ميَّالًا الى الاسفار موثرًا عيشة النسّاك والسوّاح التمس من رئيس المجمع ان يرخّص لهُ في الشخوص الى البلاد الهنديَّة ليجمع صدقات تكفيهِ لمساعدة السريان المعوزين ولانشاء دير ورهبانية للطائفة في مسقط رأسهِ . وبعد الانتظار الطويل نال الاذن فسافر الى الهند عام ١٦٩١ وأقام خمس سنوات يسعى في قضاء منيتهِ فانجح الله تعالى مساعيه وجمع طائفة من المال قدرها خمسة وثلاثون الف ريال روماني ثم عاد الى رومية غانمًا سالمًا

وفي تلك السنة توجه مار بطرس الرابع الى رومة مع غريغوريوس يشوع مصرشاه الحلبي اسقف اورشليم وقصدًا على التراجم ما الَمّ بهما وبالسريان الكاثليك من جور اليعاقبة في سوريا وما بين النهرين وبعد ان اجالوا قدح الاستشارة بدا لهم ان بناء الدير في ماردين او في الرها كما كان قد عوَّل عليه المترجم غير مناسب. واتفقوا على تشييده في رومة ليكون مدرسة لابناء الملَّة . فاشترى اذ ذاك السيد اثناسيوس بمساعدة

الكردينال بتفيلي محلّا في أكمة اسكولينو وسماه دير مار افرام وابتنى بجانبه كنيسة وسماها باسم « سيدة الصحة » وجعل فيها مذبحين الواحد لمار افرام والآخر لمار يعقوب النصيبيني ووضع لذلك الدير قوانين دقيقة · ودخلهُ عدّة من الطلبة الذي زيّنوا الكنيسة السريانية بآثرهم وفضائلهم · ومن جملة الذين انفردوا فيه تذكر خاصة القربان باسيليوس اسحق جبير (١ وغريغوريوس يشوع مصرشاه المذكور آنفًا الذي توفي في ١٧ نيسان ١٧١٥ في نهر التيبر · وغريغوريوس جبرائيل فيزون الدمشقي الذي اقيم بعد الترجم نائبًا رسوليًا) والسيد غريغوريوس يوسف قدسي مطران اورشليم وغيرهم كثيرين

واستمرّ ذلك الدير معمورًا مدّة مائة سنة الى ان استولى نابليون الاول على رومة سنة ١٨٠٨ ومن ثمّ فلسوّ الحظ ضبطتهُ الحكومة الايطاليّة · ولم يتوفق رؤساء الطائفة فيما بعد الى استرجاعهِ واقتناء غيرهِ في رومة · ومع تمادي الزمان تحوّل الى بيوت يسكنها العوام ودُرست آثارهُ ولم يبقَ منها سوى الكنيسة التي هُدمت عام اول وتحولت الى مدرسة لفحص الامراض

ولم يكتفِ اثناسيوس سفر بذلك بل ساعد كثيرًا الطغمة الاقليميّة التي كانت مع مار بطرس الرابع فمن ذلك انهُ عام ١٧٠٦ كتب اليه العلّامة مار غريغوريوس نعمة قدسي ولفيف الكهنة الذين كانوا محبوسين في اطنه بدسائس اليعاقبة ان يمدّ لهم يد المساعدة فأرسل اليهم مبلغًا وافرًا من المال فابتنوا دير مار افرام عين الزغم وسكنوه عائشين فيه عيش الزهّاد · ولبث ذلك الدير مأهولًا نيّفًا ومائة وثلاثين سنة اي حتى حرقه وانتهابه الذي جرى عام ١٨٤٠ فنُقل ما بقي فيه من الكتب والاواني الى دير الشرفة

وبعد ان استأثرت رحمة الله بالقربان اسحق جبير سنة ١٧٢١ قلّد الكرسي الرسولي مار اثناسيوس سفر النيابة الرسوليّة على الطائفة السريانية برمتها · فدبّرها سبع سنين احسن التدبير وهو مقيم في رومة

وقد عاش هذا الحبر الفاضل ثماني وثمانين سنة أنفقها في الصلاح والارشاد وخدمة الطائفة حتى طواه ضريحهُ في ٤ نيسان ١٧٢٨ ودُفنت جثتهُ الكريمة في كنيسة الدير

١) راجع ترجمتهُ في المشرق (١١ : ٢٨٦)

التي شيّدها ووُضعت فوق قبره صفيحة من الرخام منقوش عليها الشعار الاسقفي والكتابة الآتية باللاتينيّة والحروف السطرنجيليّة واليك نصها :

ܗܪܟܐ ܩܒܝܪ ܐܬܢܐܣܝܘܣ ܣܦܪ ܣܘܪܝܝܐ ܐܦܣܩܘܦܐ ܕܡܪܕܝܢ ܓܡܝܪܐ ܒܡܝܬܪܘܬܐ ܕܫܢܝ ܠܘܬ
ܡܪܝܐ ܒ ܒܢܝܣܢ ܫܢܬ ܐܬܟܚ . ܐܠܗܐ ܢܢܝܚ ܢܦܫܗ ܒܡܠܟܘܬܗ

وترجمتها «ها هنا مدفون اثناسيوس سفر السرياني اسقف ماردين الكامل بالفضيلة رقد بالرب في ٢ نيسان سنة ١٧٢٨م اراح الله نفسهُ في ملكوته»

وكان رحمهُ الله فاضلًا مجيدًا وكاتبًا مجيدًا وخطيبًا فصيحًا متضلعًا بالسريانية والتركيّة والفارسيّة والعربية والايطالية

ومن مآثره الشريفة الجليلة انهُ بذل لُباب السعي في طبع كتاب الفرض اليومي المسمّى الاشحيم لأول مرةٍ وذلك في ايار ١٦٦٦ ليسهل لكهنة الملة تلاوة الفرض اذ كانوا بعدُ تابعين عوائد اليعاقبة في ذلك. وقد ورد في آخره ما نصهُ: «وكان المهتم في [؟] هذا الكتاب وطبعهِ الحقير في رؤساء الكهنة والاساقفة اثناسيوس سفر اسقف مدينة ماردين. حيث مولده». ولم تطبع فيه صلاة يوم الاحد بل كان يعوّض عنها بصلاة يوم الاربعاء حتى سنة ١٧٨٧ التي فيها طُبع ثانيةً بهمّة القس الياس بن فتح الله السرياني الامدي ترجمان اللغة السريانية والكلدانية برومة فزاد عليه صلاة يوم الاحد. ثم طُبع ثالثةً برومة ايضًا سنة ١٨٤٤ بعناية مار اغناطيوس بطرس جروه. واخيرًا طُبع عام ١٩٠٢ في المطبعة البطريركيّة في دير الشرفة بسعي مار اغناطيوس افرام الثاني بطريركنا المغبوط

ثم صنّف مار اثناسيوس كتابًا سريانيًا سماه «ܐܘܪܚܐ ܕܡܗܝܡܢܘܬܐ» اعني طريق التوبة ومنهُ نسختان في مكتبة دير الشرفة. واعتنى كذلك عام ١٧١١ باستكتاب الطقوس اليميّة باسرها ونقّحها واعدّها لتُطبع غير ان كثرة المهام شغلته عن ذلك. وكان الناسخ تحت يده القس عبد الاحد بن سفر الرهاوي ابن اخي مار بطرس الرابع الذي كان قاطنًا في ديرنا برومة

وصنّف كتابًا ضمّنهُ اخبار السيد بيكات ورحلته الى بلاد الفرس وقد اطّلع مار اغناطيوس افرام رحماني بطريركنا المغبوط على نسخة منهُ في المكتبة الواتيكانية في الصحف العربي عدد ٢٣٢. ولولا كثرة الاسفار الشاقة التي استغرقت اكثر حياته لخلّف ولا جرم لعالم العلم آثارًا اخرى تذكر. نسألهُ تعالى ان يلبسهُ ثوب العفو والغفران ويضمهُ الى مصاف الصديقين والابرار

ونجعل مسك الختام لاخبار هذا الحبر الجليل الشكر الجزيل لجناب الفيكنت فيليب افندي دي طرّازي الذي عُني بجمع تواريخ طائفتنا بدقة واتقان اذ اوقفنا على فوائد جمة تتعلق بصاحب الترجمة

اللغة العربيّة والحركات

للاديب داود افندي مليرا الكلداني

هي عنوان مقالةٍ عنّت لي فيما غبر فأفضتُ فيها من الكلام ما تسنّى للقريحة العيّاء وما حضر وبحثت فيها بحثاً طويلاً مدقّقاً استقصى شاردها واحاط بواردها الّا ان بعض الموانع حالت دون نشرها وتصدّت لتاخيرها فحملني الامر على ان افرغها في قالب جديد غير قالبها الاوّل وابرزتها الان بحلي يروق للناظر السليم والراي السديد المستقيم على اني لم آتِ متقدماً ولا منتدداً بل ابسط رأياً ارتأيتهُ وافيض من مورد وردتهُ

من البديهي ومما لا مرية فيه ان اللغة العربيّة كانت منتشرة على افواه القبائل في جميع الانحاء والاصقاع العربيّة وعنها أُخذت وأُثرت وعن افصحها قبيلة الينا نُقلت ألا وهي قبيلة قُريش التي بلغتها وُجد القرآن وعلى حكمها بالفصيح ثبت البرهان على ان اهل البحث والتنقيب في اي عصر كان ومن اية فئة كانوا لم يُبقوا حاجةً في نفس يعقوب من ركوب متن الحلّ والعقد ولمتطاء صهوة الصافنات الجياد في النقد فيما تناوله من اعتمادهم على اللغة الفصحى واثباتها من حيث هي حتى افرغوا كنانة الوسع في تقرير الادلّة المديدة وامتحاض الآراء السديدة في شأن هذه اللغة العزيزة الشريفة فكفوا بذلك من بعدهم مؤونة العناء في استقصاء ما هنالك من البحث الطويل فضلاً عن دفع الكلفة والمشقّة عمّن لم يُسعدهُ الحظ بالظفر بناصية الخبرة في اجتياز عقبة هذه الابحاث البعيدة الغور والمنال واستفراغ الجد وتتبّع اقوال واضعي اللغة وباني صرح تاريخها واستقراء تلك الآراء والمزاولة في ترجيح هذا على ذاك وذاك على ذلك وانتقاء الاصح والاثبت وسبر غور اقوالهم بمجاس العقل الثاقب حتى يتسنّى الظفر بالمرغوب وترسخ المسألة على اسّ الحقيقة المطلوبة التي لا شبهة وراءها . فعدلتُ الان عن المنازلة في هذا الميدان وملت عن المكافحة فيه الى ما سيستتبّ لي ان شاء الله من الفرص للتفرغ في البحث عنهُ وان كنت مستغنياً عن نيل قصب السبق في مضمار

رهانه لما انبته اولئك الافاضل بما لم يبقَ للريب فيه مجال ولا للاعتراض مكان. الّا اني اقصد اتمام الفائدة مع اقراري بعجزي وقصر باعي وحرج الزمان والمكان وتبلبل البال بكثرة الاشغال وبالله المستعان

فأنصرف الآن بوجهتي الى ما صُرفت اليه عنان الفكر من البحث عن الحركات العربيّة وما انتهى اليه الراي القاصر فيها . فاقول :

لا امتراء في ان هذه السمات التي أُطلق عليها اسم الحركة كانت في بدء امرها نقطاً اخذها ابو الاسود عن السريان على ما سترى وهي من اختراعاتهم كما هو مقرَّر في تدويناتهم ويعلمهُ من له المامٌ تامٌ بتاريخ اللغات القديمة ومنهم اخذ العرب وغيرهم الخطّ أيضاً فضلاً عن اللغة ولا مشاحة في ذلك . لانهُ لا يخفى على القارئ اللبيب ان اللغة السريانية (١ اي الارامية (نسبة الى ارام بن سام) كما يعرفونها هم انفسهم في كتبهم كانت لغة امة عظيمة ممتدّة رواق المجد والعظمة وظل الشهرة قد أشغلت قسماً كبيراً من ارض اسيا وهي بلاد الشام مع جزائرها والجزيرة والعراق العربي وما جاور هذه الاصقاع الى حدود بلاد فارس شرقاً وبلاد الارمن وبلاد اليونان في اسيا الصغرى شمالاً وحدود بلاد العرب جنوباً . فلها الفضل العظيم على جميع البلاد في اختراعها صناعة الكتابة التي منها تعلمتها سائر الامم . قال بعضهم (وهو الاقرب الى الحق) : « فلا جرم اذاً ان العرب قد تعلموا الخط من السريان » . قال احد العلماء المتضلعين في علم التاريخ والمدققين الماهرين في كلامه على الخط ومخترعيه وانتشاره : « وهكذا يسوغ لنا ان نقول ان السريان ردّوا الكتابة العربيّة الى الحال الذي كانت فيه اول ما تعلم العرب الكتابة من السريان اه »

على ان العرب لمّا اتخذوا الخط من هذه الامة في مبادئ ظهور الاسلام وانتشاره

---

١) لا جرم ان هذه اللغة هي اقدم اللغات السامية لان اللغة السريانية هي لغة ارام الذي لا يبعد عن سام الا جيلاً واحداً . واما غيرها من الامم السامية فيبعد اجيالاً . واما اذا اعتبرنا الجد الثاني اشور او اثور فهو ايضاً ابن اخ لسام . ومما هو اشهر من نار على علم ان الامة السريانية بانتشارها الى الاصقاع البعيدة واستيطانها اياها خلّفت اثاراً جليلة سيما مَن تبوأ منها بلاد مصر منذ الازمنة القديمة حيث تركت اثاراً كثيرة سريانية بالكتابات المنقوشة على الاحجار والمسطورة على القرطاس القديم

في نحو المائة الثامنة بعد المسيح لم يأخذوها الّا حروفاً ثم بعد ذلك بزمان اخترعوا هم العلامات للحركات المستعملة الآن عندهم وكذلك فعل العبرانيون وبقي الآراميون دهوراً يكتبون بلا علامات للحركات ولا تمييز الجمع من المفرد . قال احد المهرة في فنّ التاريخ: «ومما نعجب بهِ ان من طبع الامم الساميَّة المضروب بهِ المثل هو انهم شديدو التمسُّك بعوائدهم وأمورهم والثبات فيها حتى اننا نرى اللغة العربيَّة مثلاً قد مضى عليها دهورٌ واحقاب عظيمة وهي باقية على حالها لم تتغيَّر الّا شيئاً يسيراً لا يُحتفل بهِ بخلاف الامم الاوروباويَّة اه»

على ان هذا التغيير الذي احدثهُ العرب لو كان مهماً كاهميَّة انتقالهم من الحرف الى الحركة على ما يزعم في بناء الكلمة واعرابها لأصبح شغلاً مما يُحتفل بهِ ونُسب الفضل فيهِ اليهم ولكنهم ليسوا في ذلك من الفضل بشيء . (اي في استعمالهم الحركة) لأنها ليست من اختراعهم انما الفضل فيهِ للكلدان على ما علمت وستعلم . فالعرب لمَّا تعلموا الخط من الآراميين (كما سبق بيانهُ) لم يتعلموا سوى حروفٍ بسيطة لا غير ولما مضى نصف القرن الاول للهجرة وكان الناس يقرأون القرآن بلا حركات على ما هو مقرر في هذا الباب فاول ما افتقروا اليهِ الحركات واول من رسمها لهم ابو الاسود الدؤلي كما مرّ واضع النحو المتوفى سنة ٦٩هـ فانهُ وضع نقطاً تمتاز بها الكلمات او تعرف بها الحركات وليس كما توهم بعضهم ايضاً انها لتمييز الحروف كالثاء من التاء وقس عليهِ . مقتبساً ذلك من الكلدان جيرانهِ في العراق . ولنا شاهد لا يُرتأى على ان الكلدان الذين تعلم العرب منهم الخط كانوا ينقطون عوض الحركة كتاب سِيَر النُسَّاك الاولين لپلاديوس المكتوب على الرقّ سنة ٧٩٢م وهو اقرب الى الخط الكلداني . فان كاتبهُ استعمل الحركة بطريقة النقط كما عند الكلدان . قال احد الادباء الباحثين البارعين في علم التاريخ: «لقد عثرت على مصحف كوفيّ في دار الكتب الخديويَّة على هذه الكيفيَّة وهو من اقدم مصاحف العالم ومكتوب على رقوق كبيرة بمداد اسود وفيهِ نقط حمراء اللون فالنقطة فوق الحرف ضمة وتحتهُ كسرة وبين يديهِ فتحة كما وضعها ابو الاسود الدؤلي» اه

ثم جُرّدت تلك النقط ومُطّت (بعد جعل رأس للضمة لئلَّا تلتبس بالفتحة) فصارت على ما نُرى الان . وهذا اكبر دليل على صحة ما قلنا وسنقول من هذا القبيل

وعليه فيكون الراي الاكثر احتمالًا ان هذه الحركات من خصوصيات اللغة العربيّة (وان كانت نشأتها الاصلية من الكلدان على ما بيناه قُبيل هذا) لما احدثوا فيها من التغيير. وليس ما يقابلها في غيرها من اللغات الّا نادرًا. وهي ولا جرم تقوم لديهم بوظائفها في بناء مفردات الكلم لا سيما الإعراب الذي لا نظير له في غيرها. ولهذا الإعراب بالحرف عندهم فرع الاعراب بالحركة على ما هو مقرَّر في كتبهم. ولم يُعرف منهم الحرف اصالةً او نيابة في قوام هجاء ما (١. وعلى هذا لم يكن العرب ليستبدلوا الحرف بالحركة كما يُزعم. على ان غير العرب كالسريان او العبران او غيرهم لم يستعملوا حرفًا او حركة للاعراب كما سترى فضلًا عن ان جميع اولئك الاقوام لم يعرفوا صورةً للاعراب بل ولا اثرٌ لفظيٌّ له عندهم

قال في الغراماطيق السرياني في باب المفعول به: «فترى ان المفعول به قد يكون خاليًا من علامة يُميَّز بها عن الفاعل وانما يُفرَّق بينهما بالقرائن او من المعنى لانهُ ليس في السريانية ما يقوم مقام الاعراب الذي في اللغة العربية». انتهى بحروفه. والّا لتغيرت اواخر المعربات عندهم كما في العربيّة. ودونك مثالًا على ذلك ܡܪܝܐ ܢܪܥܝܢܝ الرب يرعاني ܩܪܝܬ ܠܡܪܝܐ دعوت الرب ܒܥܝܬ ܡܢ ܡܪܝܐ طلبت من الرب. فانك ترى لفظة ܡܪܝܐ التي تأويلها الرب في كل من المواقع الثلاثة المذكورة قد لزمت حالةً واحدةً ابدًا رفعًا ونصبًا وجرًّا كما في المبني في اللغة العربية. ولم يستعملوا حرف العلة مطلقًا كما لم يميّزوا مواقع الاعراب بحرف او حركة ما كما علمت. ولم يُنقل عنهم شيءٌ من ذلك فضلًا عن انهم لم يقرروهُ في كتبهم ولا اثبتوهُ في مدوَّناتهم. على ان العرب لم يتعاطوا القراءة والكتابة الّا من عهد قريب. ولمّا اخذوا الكتابة من اهلها وضعوا هم الحركات واختاروها على ما سواها لما فيها من الاختصار في الكتابة فضلًا عن أمن اللبس في مواضيع عديدة مختلفة. فكانت لهم اذًا في ما سوى اقامة الهجاء علامات اعراب ايضًا

وعلى كلٍّ فلو كان العرب يكتبون كما كتب غيرهم ممن يستعين بالحرف على تقويم هجائهِ عوض الحركة لكان لزمهم ان يكتبوا عوض قامَ مثلًا (قاما) وعوض

---

١) بدليل انهُ لم يُؤثر عنهم ولا ذُكر لهم ولا في استعمالهم ما يُشار اليه به

ضَرَبَ (ضارابا) وعوض يَضرِبُ (ياضريبو) مما لا يُؤمن معهُ اللبس في اغلب الحالات (ما عدا الاطالة كما ترى) والّا لكان افضى بهم الامر الى ان يضعوا لكل حرف من الحروف صوراً متعددةً بالنظر الى النطق بهِ في جميع احوالهِ فيكون للباء مثلًا اسمٌ مخصوص في حالة الرفع وآخر في الضم وقس عليهِ سائر الحالات الأُخر (وهم ليسوا في شيء من ذلك) ما عدا ما ان هذا متعذر ومن الصعوبة بمكان ان يؤدي الى وضع أضعاف مما لديهم من الحروف . وهو عينهُ السبب في ما يبلغنا عن كثرة الحروف في بعض اللغات . فلا امتراء اذًا ان العرب لم يستعملوا الحرف في اقامة الهجاء فضلًا عن الاعراب خاصةً

واما ما اعربوه بالحرف كالمثنى والجمع السالم فالارجح لانهم كرهوا ان يجمعوا بين علامتين في موضع واحدٍ من الكلمة وهما علامة التثنية أو الجمع وعلامة الاعراب طلبًا للاختصار ومراعاةً للخفة . كما كرهوا اجتماع اعلالين فيها ايضاً وهو دأبهم في كراهة اجتماع ثقيلتين في محلّ واحد الّا ما كان من الاستطاعة بمكان . غير انهم اذ رأوا ان كلًا من العلامتين المشار اليها يصلح لان يكون علامة اعراب ايضاً استغنوا بهِ في الاعراب عن الحركة الموضوعة لهُ وذلك بطريق النيابة . والّا فان كانوا قد خصّوها بالاعراب فما هي علامة التثنية والجمع ؟ . فلا جرم انهم قد وضعوها علامةً للتثنية الخ ثم استظهروا بها على مواقع الاعراب ايضاً . ومما هو حريٌّ بالذكر انهم اختصوا الجمع المذكور بهذا النوع من العلامة والاعراب معًا لكي يُساوى بهِ بين معنى الجمع ولفظهِ . ولهذا كان لا يُستفاد فقط من هذه العلامة (١ الدلالة على معنى الكثرة الذي يدل عليهِ معنى الجمع بل تكثير حروف الكلمة ايضاً بمناسبة دلالتها على الكثرة في المعنى مع ما في لفظ الواو من الاعتبار والفخامة الموافقة لمعنى الجمع وهذا كلهُ لا يُتحصَّل مع الحركة . وبهذا الاعتبار ساوى اللفظُ المعنى . او كأنَّ اللفظ صار دلالةً على المعنى المطلوب من الجمع بكثرة الحروف على كثرة العدد مع فخامة اللفظ وجزالتهِ وبهذا الاعتبار تكون الالف والنون في المثنّى . بيد ان الالف اقلّ فخامةً من الواو فوُضعت لهُ بهذه المناسبة ايضاً . اي باعتبار كون المثنّى اقلُّ دلالةً من الجمع فطابق

(١ اي الواو مع النون التي سواء كانت عوضاً عن التنوين في المفرد او مقابلة لنون تغربون وهكذا مع الالف في تغر بان اللاحقة حرف العلة في مثل تلك المواضع

لفظُ كلٍّ منهما معناهُ . وربّما يقال لعلّهم ارادوا بذلك ان يوفّقوا لفظ التثنية والجمع بين الفعل والاسم فخرجوا بهِ عن حدّ الاعراب بالحركة الى الاعراب بالحرف اشارة الى ان المثنى والجمع فرع المفرد فاعربوا القبيلتين (اي الاسم والفعل) في التثنية والجمع بالعلامة الفرعيّة ليستوفي كلٌّ منهما حقَّهُ من الاصالة وفرعها ولعلّهُ قريب من الصواب

واما ما ورد من اعراب الاسماء الخمسة بالحرف فقد وقفتُ لهُ في كتب القوم على تعليل شافٍ يفي بغرضنا في هذه العجالة تاييداً لما نحن في صدده من هذا القبيل . قال ابن مالك في الفيَّتهِ في باب المعربات:

وشرط ذا الاعراب ان يضفنَ لا   لليا كجا اخو ابيك ذا اعتلا

قال الشيخ بدر الدين في شرحهِ هذا البيت: « فان قلت لما كان شرطاً في اعراب هذه الاسماء بالحروف اضافتها الى غير ياء المتكلم . قلنا لان ما كان منها غير مضاف فهو معرب بالحركات نحو أبٌ الخ (١ . وما كان منها مضافاً الى ياء المتكلم قد أعربوه كثيرهِ مما يُضاف الى هذه الياء نحو هذا ابي (٢ وما كان مضافاً الى غير الياء المذكورة أُعرب بالواو رفعاً و بالالف نصباً و بالياء جرًّا كما في قولهِ: جاء اخو ابيك ذا اعتلا . والسبب في أن جرَتْ هذه الاسماء هذا المجرى هو ان اواخرها حالة الاضافة معتلّة فاعربوها بحركات مقدَّرة واتبعوا تلك الحركات حركة من قبل الآخر فادّى ذلك الى

---

١) ولم يعربوها بالحرف جرياً على الاصل لانهم لو كانوا يقصدون اختصاصها بهذا الاعراب دون سائر اخوتها جرياً على الاصل لما اشترطوا عليهِ شروطاً اربعة . على ان الجري على الاصل يتوفّر معهُ كل شرط ولا يستلزم هذا التكلف والعناء . ثم ما الذي دعاهم الى نقلها هنا الى الاعراب بالحركة وخالفوا فيها اصلها الذي وضعوها عليهِ فاخرجوها من حيّزها الاصلي في وقت لم يبقَ منهم غيرها يُعرَب اعرابها . فتكون لهم حجةٌ ودليلٌ على هذا الاصل و بعبارة اخرى اثراً بعد عين ? . فبالاول اذا نقول لما كانت الاسماء كلها تُعرب بالحركات الا هذا الجزء او هذه الفصيلة منها أفلا يُعدّ نادراً والنادر كالعدم والعدم لا يُبنى عليهِ حكم ولا يُحتجّ بهِ . سيما من لا يثبت على قرار لا يُستأثر بهِ الاستشهاد

٢) وهذا شاهد اخر لانّهم لو ارادوا ان يخصوها بهذا النوع من الاعراب كالمثنى والجمع . فلماذا لم يبقوها على ما وضعت عليهِ من الاصل حتى نقلوها الى الاعراب بالحركة (الذي هو الفرع) المقدَّرة عند اضافتها الى هذا الضمير ولم يعربوها اعرابها اذا اضيفا اليهِ . فتجري في سائر حالاتها على وتيرة واحدة مثلها . اي تُرفع ايضاً بواو مقدرة مثلها الخ

كونهِ واوًا في الرفع والفاً في النصب وياء في الجرّ . وبيان ذلك ان ذو اصله « ذوي » بدليل قولهم ذويان في التثنية فحذفت الياء وبقيت الواو حرف اعراب » الى آخر ما هنالك من الاستقصاء مما لم نأتِ على آخرهِ فرارًا من الاطالة اذ ليس الغرض الّا الاجتزاء بالاشارة الى بيان عدل تلك الاسماء عن وضعها من الاعراب بالحركة الى الاعراب بالحرف لتكون لنا حجة وبينةً على دعوانا

ومما أُوثر اثباتهُ هنا ايضاً ما كنتُ قد ارتأيتهُ منذ امدٍ غير قريب ولعلي لستُ ببعيد فيه عن الصواب . وهو أنهم اعربوا هذه الاسماء بالحرف في حالة الاضافة الى غير ياء المتكلم جبرًا لما فاتها من موازنة الثلاثي من الاسماء عند حذفهم احد اصولها اعتباطاً (الذي هو آخرها) بدليل انهم لم يعربوا مفردًا سواها اعرابها مما لم يعاملوهُ معاملتها من مثل هذا الحذف ولكي يُساووا بينها وبين ما عاملوهُ معاملتها من الحذف ولم يعربوه هذا الاعراب مثلها كيَد ودَم مثلاً ردُّوها الى مثل اعرابهِ بالحركة عند قطعها عن الاضافة او اضافتها الى الياء فتأمّل

واكثر مما يُستفاد من وضعهم الالف للمثنى والواو للجمع علاوة على ما سبق لنا من البيان . انهُ لما كانت الالف قد استوفت حقها من الشيوع (اسماً وحرفاً) في مثنى الاسماء والافعال فضلاً عن مشاركتها الواو في الدلالة على الجمعيَّة كما في الجمع المؤنث السالم الذي هو احطُّ قدرًا من جمع المذكر (لان التأنيث فرع التذكير) لما في الواو من الجزالة والفخامة وما في الالف من الرقَّة واللطافة اعطوا الواو (ضميرًا او حرفاً) حقها من الجمعية للذكور في الافعال والاسماء ولهذا نرى حيثما كانت الالف ضميرًا للمثنَّى مذكرًا كانت الواو ضميرًا لجمعهِ مذكرًا (وهذا يشمل الفعل والجمع السالم) ليس الّا

ومما يناسب هذا المقام قول بعض المحققين : « ان لسان العرب يتفرع منهُ فروع كثيرة كما انهُ يتفرع من غيره من اللغات الشرقيَّة كالسريان والعبران الخ » اقول نعم ان هذا الحقيق ولا يتنازع فيه اثنان . وحيث كانت اللغة العربيَّة متفرعة منهما (بل من السريانيَّة على التحقيق لا التخمين) وهما تستعملان السمات في اقامة الهجاء لا الحروف . فالعرب حافظوا على ما اخذوه وتعلموه منهما . فاولى حجة (بل بديهي) ان يقال ان العرب قد اصطلحوا على الحركات في قوام هجاء مفرداتهم آخذين ذلك عما أُخذت لغتهم عنهُ ولمَّا ارادوا اظهار اعرابهم لم يخرجوا عن حدّ تلك العلامات ولم

يتحرَّوا سواها لما يُرى من سهولة مأخذها مع ما فيها من الاختصار الذي هو ديدنهم واسُّ فصاحتهم ودعامة بلاغتهم فيجري اذ ذاك اقامة جميع هجاء الكلمة من اولها الى آخرها مع اعرابها على سَنَن واحد من السهولة والاختصار على ما ذكر. ألا ترى انهم اقتصروا على نون التنوين بتكرار رسم الحركة ولم يرسموها نونًا حذرًا من التطويل والثقل ورعايةً لأمن اللبس ايضًا. مع ما يروق للناظر من رسمه فوق الحرف كتاج او اكليل سيما ما يُرى من هيئة تنوين الرفع

واما ما يُرى من استعمال السريان ܗܘ كما في قولهم ܐܠܗܐ ܟܐܢܐ ܗܘ اي الله عادل هو فهو بمثابة ضمير او حرف فصل على ما سترى. ولم يخصوه بحالة ما رفعًا كان او غيره. قال في الغراماطيق السرياني في باب الخبر: «والوجه الثاني ان يُقرن الخبر باحد الفاظ الفصل وهي ܗܘ ܗܝ ܐܢܘܢ ܐܢܝܢ بمقتضى ما يكون الخبر من مذكر ومؤنث مفردًا او جمعًا. واذا كان المبتدأ ضميرًا اقترنت به لفظة الفصل وقيل للغائب ܗܘܝܘ بدل ܗܘ ܗܘ[1] الى اخر ما هنالك. واما الوجه الاول الذي قبلهُ والثالث الذي بعدهُ فيثبت لنا من الاستقراء فيها ان السريان لم يتوخوا باستعمالهم هذا الفعل وان شئت قل لفظ الفصل بين المبتدإ والخبر بل انهُ يقع مواقع أُخر من النصب والجر ايضًا». وأورد على ذلك امثلة عديدة تقطع كل ريب وترفع كل شبهة اعرضنا عن ايرادها كما هو دأبنا في طلب الاختصار فيكون هذا الحرف عندهم تارةً ضميرًا وطورًا رابطًا وليس بعلامة اعراب (وربَّما ارادوا به ما يراد بمتعلق الظرف اذ كل منها يدل على كونٍ عام) وهو اشبه شيء بلفظة est الفرنسيَّة في قولك Dieu est bon وقس عليه. ثم استتلى هذا المؤلف كلامهُ فقال: «ولك مع ܗܘܐ او ܢܗܘܐ[2] وجه آخر نحو ܠܡܚܪ ܐܗܘܐ ܒܒܝܬܟ غدا اكون في بيتك ܐܡܬܝ ܢܗܘܐ ܢܘܚܡܐ متى تكون القيامة» انتهى

وعلى كلٍّ ألم يُحتمل العرب الخبر الصفة وما يُؤوَّل بها من جامد ضميرًا يربطهُ

1) هذا يشمل المثنى والجمع السالم

2) ومن قواعدهم انهم يسقطون الهاء من فعل ܗܘܐ في ماضيه كقولهم ܗܘܐ و ܗܘ اذا اتصلت في اللفظ بما قبلها

بالمبتدإ . او لم يستعملوا ضمير الفصل الذي يسمونهُ ضمير عماد او حرف عماد ايضاً . فعليهِ اذًا سواء كان الضمير بارزًا او مستترًا ليس هو عند العرب في شيء من علامة للاعراب كما لم يكن عند غيرهم ايضاً

ولولا ان قد طال بنا من الكلام المجال ونخشى الملل لأتينا على آخر ما لدينا من البراهين والادلّة المديدة مصداق ما اوردنا من الرأي . ومع هذا نؤثر وصد هذا الباب دون ان تتحف القرّاء الكرام بما يكون كشذرة في هذه القلادة التي اضحى عقدها يتلألأ في نحور خود الجلاء على ترائب الحقيقة فنقول:

قال في الترلماطيق المذكور في باب البحث عن الكتابة : « ان العرب تعلموا الكتابة من السريان واتخذوا منهم القلم السرياني وهو الذي الى الان يستعملونهُ الخ » . وقال في باب استنباط الحركات : « ويتضح جليًّا مما سبق انهُ نحو السنة الالف ومئة للميلاد لا الاراميون (اي السريان الشرقيون) ولا الغربيون (اي السريان الغربيون) ولا اليهود ولا العرب ولا سائر الامم لم يكونوا يستعملون في كتاباتهم علامات للحركات ولا كان عندهم اسماء للحركات الخ » . حتى ان العرب لما اتخذوا الخط من السريان لم يأخذوا الّا حروفًا (اي حروف الهجاء) ثم بعد ذلك اخترعوا هم العلامات للحركات المستعملة عندهم الان . فكان القارئون يحركون من بالهم الحروف المكتوبة كما يفعل العرب اليوم في اغلب كتبهم . واليونان واللاتين اذ رأوا ان القلم السرياني لا يحوي علامات للحركات خصصوا احرف العلّة من القلم السرياني علامات لثلاث حركات وزادوا عليها ثلثة احرف حلقيّة لا توجد في لغتهم فجعلوها لحركات اخرى واقتدى بهم جميع الذين اخترعوا اقلامًا جديدة في الازمان التابعة كالارمن والقبط والصقالبة والروسيين

« وفي القرن السابع للمسيح حاول يعقوب الرهاوي الذي اشتهر في الملة السريانية اليعقوبيّة ان يُدخل هذه الطريقة اليونانيّة في الكتابة السريانيّة لانهُ في ذلك الزمان لم يكن بعدُ قد أستُنبطت الحركات في اللغة السريانيّة فاخترع علامات للفتاح والزلام وسائر الحركات السريانيّة لتُكتب مع الحرف في كتابة الكلمات ولكن هذه الطريقة لم يسلكها احدٌ من بعدهِ ومثلما نشأت ماتت (١) » . انتهى بحرفهِ . هذا وحسبنا في كل

(١) وهنا يمكننا ان نقول ان هذا يعقوب او غيره عرف ان السريان كانوا يفسون الحجاء

ذلك وما وصل الينا منهم ويُستفاد من تحقيقاتهم ، هو مقرّر في كتبهم ونصّوا عليه في باب تقسيم علامات الاعراب ان الحرف قد استُعمل بطريق النيابة عن الحركة الموضوعة اصالة لاقامة الهجاء ثم لاظهار الاعراب ولا يُسمع خلافه . . . وكفى

ومما يليق بنا ان نجعله كختام لهذه العجالة شهادة لا تقبل الرياء اتى بها العلامة العامل المحقق والجهبذ اللغوي المدقق حضرة الاب انستاس الكرملي المحترم في مقالته الرنانة المدرجة في مجلة المشرق الاغرّ في الصفحة الثانية والعشرين من الجزء الاول لسنة ١٩٠٨ التي عنوانها « اللغة العربيّة » في طور النشوء والتكوّن . قال حضرتهُ في الطور الثاني : « وهو الطور الذي كان فيه اقوام الاعراب على ثلثة اوجه في قبيلة دون اخرى ثم حدث فيه تغيّر الحروف وتبدلها بعضها من بعض وكثرت انواع الحركات في صدر الكلمة وحشوها » . ثم قال : « وفي الطور الثالث وهو طور الانضمام والتجمع الخ . . يعني الطور الذي لم يكن فيه في بلاد العرب وقبائلها الّا ست لغات عظمى الخ . واتّخذت فيه اوجه الاعراب قاعدة مطردة يجري عليها المتكلمون ويتبع جادتها الكل اجمعون . يعني انهم اتّخذوا الضم للرفع والفتح للنصب والكسر للخفض والجزم (٤) طور الاسلام والتفرّع وهو الطور الذي ظهر فيه الاسلام والقرآن فاخذت سائر اللغات بالزوال والاضمحلال وعمت فيه لغة المبين او الفصيح ونشأت فيه اصطلاحات وعبارات كانت مجهولة في سياق الاطوار الخ »

بالحرف لما تكلف مؤونة انتحال بعض العلامات اليونانية لاقامة هجائهِ ولا تسهيلاً لهُ بل لا جرم كان الاحرى بهِ ان يبعد اليهم ما كان لهم منها الى اصلها ويرجعها الى ما كانت عليهِ من رونقها الاصلي ولاحتجّ بها عليهم وردّهم الى ما عدلوا عنهُ وتاهوا فيهِ عن سواء السبيل في ما وُضعت عليهِ لغتهم وردّ بضاعتهم اليهم . وهكذا القول في العرب في اقامة الحجة عليهم لمخالفتهم سنّة ما اخذوا عنهُ . وعلى كلٍّ فنكتفي بقول هذا المؤلف من الحجة السديدة والبرهان القاطع ما اتى بالبيّنة الساطعة على ان العرب في جميع اطوارهم لم يقدروا ان يفوتهم الغرض في شيء من ذلك . ألا تراهم نبّهوا على الحركة المعبّر بها عن التنوين واوضحوا سرّها ولم يغفلوا عن الف الاطلاق وكشفوا عن حقيقة الزيادات ا. و . ن . اللاحقة الفعل واطالوا البحث في اقسام التنوين وانواعهِ ومواضعهِ وتناظروا في شأن الالف اللاحقة ضمير المؤنثة الغائبة . الى غير ذلك مما لم يأتِ الاستقصاء فيهِ بطائل فائدة فما الذي منعهم هنا عن ان يغضّوا النظر عن مثل هذا الامر المهمّ الذي لا يخلو من فائدة طائلة بل حجة قاطعة تقطع كل نزاع وتكفي مؤونة البحث وتوصد الباب امام كل اعتراض ومسئلة

فاقول بوجيز العبارة . لا يمكن ان يكون مفاد كلامهِ ان العرب كانوا يحرّكون بالحرف عوض الحركة ثم عدلوا عنهُ اليها في اي طور كان من اطوار اللغة المذكورة . ولا يُشعر بانهم قد تواطأُوا على الحركة (بدليل قولهِ : في قبيلة دون اخرى) بمكان الحرف فيما جاء من بعدُ فلو كان ذلك منهم فلا بدّ من ان يشام وميض برقهِ او يكون لهُ اثرٌ ما في احدى تلك اللغات التي ذكرها لدى احدى تلك القبائل . لانهُ لا جرم كانت احداهنَّ تنكره او تخالف فيهِ آراء اخَتها شأن الامم في تباين الاراء واستصواب رأي دون آخر فداومت على السير في خطتها الاولى . سيما لما يوجد من الثقل والصعوبة في الانتقال والتقلب من حالة الى غيرها في بدء الامر. على ان المحافظة على القديم شان للعرب وذمة تكاد لا تخفرها حتى في الازياء فكيف في الاراء

(المشرق) اثبتنا هذه المقالة في الحركات العربية واصلها دون ان نجزم بصحة آرائها . ونحن نعلم انَّ فئة من العلماء لا يوافقون صاحبها على اقوالهِ لاسيما في اصل الخط العربيّ واشتقاق اللغة العربية من السريانية والعبرانية فانَّ المستشرقين في ذلك آراء مستحدثة أَتسعوا فيها . الّا ان الحقيقة بنت البحث وفي معرفة المزاعم المتباينة افادة

نخبة ثانية

من كتاب نهاية الرتبة في طلب الحسبة

نشرها وذيّلها بالملحوظات المفيدة الدكتور بيار شيخو استاذ الصيدلة في المكتب الطبي الافرنسي

توطئة

ما نسي القرّاء مقالتنا التي اثبتناها العام الماضي في المشرق (١٠ : ٩٦١ و١٠٧٩) عن كتاب غاية في الحسن والافادة عنوانهُ (نهاية الرتبة في طلب الحسبة) مرفقًا مؤلفهُ ومضاينهُ ونقلنا عنهُ عدة منتخبات استحسنها اهل الذوق وطلبة الاثار القديمة . ومن فصول هذا التأليف المستطرفة ثلاثة ابواب اشرنا الى محتوياتها الفريدة (١٠ : ٨٢) تبحث عن الصيادلة والمقاقير ثمَّ الاشربة والمعاجين ثمَّ العطر والعطارين وما يدلّس بهِ اصحاب هذه الصناعات سيماهم ويخدعون الناس بما

وكنا وعدنا بنشرها عند سنوح الفرصة . ولما عُقد مؤتمر الطباء مكتبنا الطبي في أيار الماضي احب الدكتور حَيك ان يقدّم قسماً من هذه الفصول لرصفائه وينقلهُ لهم الى الافرنسيّة ويحشيه بالحواشي ونحن ننتهز هذه الفرصة لنشر تلك الابواب مع تعريب الملحوظات التي علّقها الدكتور المومأ اليه على باب الصيادلة والعقاقير ل . ش

(ص ٦٣) الباب الثامن والثلاثون

في الصيادلة والعقاقير

ينبغي ان يُعرّف عليهم عريفاً ثقة عارفاً بمهنتهم لأن العقاقير نحو ثلاثة آلاف عقّار ولها اشباهٌ وامثلة تقاربها وتدانيها في الصورة وتُنافيها وتبعد عنها في المزاج والمنفعة . فينبغي ان يعدل بما يُشترى منها الى مَن قد نُصب لذلك قبل استعمالها فاذا تبيّن ما هو ذهب الشكّ فيه وفي استعماله فتكون النفس اليه قابلة والى نحوه ساكنة

والذي وجب على مؤلف هذا الكتاب ذكر ما يؤدّي اليه من غش بعض هذه الادوية وهو يقسم بالله العظيم على مَن يعرف شيئاً من غش الصيدلة وغيرها من سائر الاشياء المغشوشة ممّن وقف على كتابنا هذا ان يُنبه في آخر كتابنا هذا . وان امكنهُ التنبيه على معرفة استخراج غشه فليذكرهُ راجياً بذلك ثواب الله عزّ وجل . فينبغي للمحتسب ان يُباشرهم ويخوّفهم ويعظهم وينهرهم بالعقوبة والتعزير وليعتبر عليهم عقاقيرهم في كل اسبوع

فمن غشوشهم المشهورة انهم يغشّوا (يغشون) الافيون المصري بسياف (بشياف) الماميثا ويغشوهُ (ويغشونهُ) ايضاً بعصارة ورق الخس البري ويغشوهُ (ويغشونهُ) ايضاً بالصمغ . وعلامة غشه اذا أُذيب بالماء ظهرت له رائحة كرائحة الزعفران ان كان مغشوشاً بالماميثا وان كان رائحتهُ ضعيفة فهو (مغشوش) بالخس . والذي هو مر صافي اللون ضعيف القوّة فهو مغشوش بالصمغ (١

١) يُستحضر الافيون المصري من عصارة بنف الخشخاش الاسود (Papaver somniferum L. var. nigrum) وكان اجود اصنافهِ يُستجلب من الصعيد وربّما دُعي لذلك بالشراب الصعيدي (Sirop thébaïque) وقد اخبرنا بلينيوس الطبي (ك٢٠ ف١٨) ان المدلّسين كانوا يغشّونهُ منذ الزمن القديم . وفي كتاب رحلة عبد اللطيف البغدادي حيث وصف الامور المشاهدة بمصر ذكر ترويج الافيون الصعيديّ . اما اليوم فان الافيون لا يُتاجر به والمعروف منه جنسٌ دون

وقد يغشون الراوند بنبتة يقال لها راوند الدواب (١ تنبت بالشام وعلامة غشه ان الراوند الذي لا رائحة له ويكون خفيفاً هو الجيد واقواه الذي يسلم من السوس .

الافيون القديم لانهم لا يحسنون استغلاله . وقد شاع استعمال الافيون في انحاء الشرق حيث يتنعم به الحشاشون ولا يزالون . اما الشياف فهو نوع من الادوية كند اليوم استعماله . وكانوا قديماً يعملونه على حجم نواة التمر ويتخذونه على طرائق مختلفة . وفي كناش ابن سيرابيون من كتبة القرن التاسع كما في اقراباذينات اخرى انّ للشياف معنيين الاوّل كدواء صلب مسهل والثاني كدواء للعيون وقد شاع الآن هذا المعنى الاخير . امّا استعماله فانهم كانوا يحكّونه على حجر ثم يبلّون المحكوك منه بقليل من الماء او عصار نباتي ويتخذونه كحلاً للعيون . وهكذا يستعمل اهل مصر التوتيا الحمراء (oxydule de cuivre) فانهم يحكّونها على قطع خزفيّة وينقعونها بماء قليل حتى تصبح كمسحوق دقيق . واشهر الشيافات القديمة شياف الماميثا فانهم كانوا يعمدون الى عصارة الخشخاش القرني (Glaucium corniculatum Curt.) ثم يعملونه في الشمس حتى يغلظ ويتخذونه على شكل نوى صغيرة وكانوا يدخلونه على هذه الصفة في معظم اشكال الكحول

اما الخسّ الذي يشير اليه المؤلف فهو الخسّ البريّ (Lactuca virosa L., Thridax agria de Dioscoride) قال ديوسقوريدس (ك ٢ ف ١٦٠) : « الخسّ البريّ مرّ وقوته كالخشخاش وبعضهم يدخله في تركيب الميكوني » والميكوني (Meconium) خلاصة الخشخاش المستخرجة من ورقه وشوقه معاً . وقد دعا الاطباء مركّب الخشخاش والخسّ البريّ لكتوكاريوم (lactucarium) . ولي رأينا انّ في العبارة الاخيرة من نصّ الكتاب تشويشاً والصواب ان يقال : « وان كانت رائحته ضعيفة وكان مرّاً كان مغشوشاً بالخسّ . وان كان صافي اللون ضعيف القوّة فهو مغشوش بالصمغ »

١) يجهل العلماء حقيقة هذا النبات وكان ايضاً يعرف بالراوند الشامي . ولشمس الرياسة ابن جميع من كتبة القرن الثاني عشر في مصر كتاب في الراوند نُسب سهواً لابن البيطار وفيه يقول عن الراوند الشامي ما نصه : « هذ الصنف يُجلب الينا من نواحي عمّان من ارض الشام وهي عروق خشبيّة طوال مستديرة في غلظ الاصبع واكثر الى الصلابة ما هي ظاهره اغبر اللون كمده ومكسره املس تعلوه صفرة مشوبة بيسير من الزرقة » . وكان راوند الدواب ايضاً يُدعى بالراوند التركي . اما تسميته الى الدواب فلأنّ البياطرة كانوا يعالجون به اكباد الدواب . فمن المحتمل اذن انّ هذا الصنف كان أدوَن جنساً . ولكني شاكّ انّ راوند الدواب غير الريباس (Rheum Ribas L.) وان كان معنى الريباس في الفارسيّة الراوند . واصل الريباس من الشام ايضاً . وقد ذكر ابن جميع في كتابه اربعة اصناف من الراوند نسبها الى بلادها الاصليّة صنفان منها قديمان وهما الراوند الصيني والراوند الزنجي ثم صنف حديث وهو التركي او العجمي والرابع الراوند الشامي . والاصناف الثلاثة الاولى كانت كلها تُجلب من الصين ولكن من طرق شتى

واذا تُقع كان في لونهِ صفرةٌ وما خالف هذا اللون والصفة كان مغشوشاً بما ذكرناهُ

والجيّد من الإثمد ما كان لفتاتهِ بريقاً (بريقٌ) وكان ذا صفاء صالح وهو نقي من الوسخ سريع التفتيت (١. وقد يغشون الطباشير بالعظام المحرقــة ومعرفة ذلك في غشها انها اذا طُرحت في الماء رسبت العظام وطفا الطباشير (٢

وقد يغشون التمر هندي بلحم الاجاص . وقد يغشون الاجاص (٣ بعكر الزيت ومرائر البقر في وقت طبخهِ . ومعرفة غشهِ اذا طُرح منهُ شيء في النار فان الاجاص (٣ يلتهب ثم انهُ اذا اطفئهُ بعد الالتهاب يصير لهُ رغوة كلون الدم . وايضاً فان الجيّد منــهُ اسود ويُرى داخلهُ ياقوتيُّ اللون ومــا لا يلتهب وما لا يرغي يكون مغشوشاً بما ذكرنا (٤

---

١) هذا الوصف للاثمد (stibine, sulfure d'antimoine) منقول عن ديوسقوريدس (٥ ف ٤٤) . وقد ذكر اطبّاء العرب اربعة ضروب من الاثمد يدعونها الكحل والجُرود والذرور والشياف . والثلاثة الاول كانت تُستعمل مسحوقةً . وقد مرَّ ذكر الشياف . وكان يتخذون للكحل ميلاً او يدخلونهُ بالاصبع اما الصنفان الاخران فكانوا يتخذون بها . ثمّ شاع استعمال الكحل حتى اتخذوه كمرادف للاثمد وجاء ذكرهُ في الآثار القديمة . فمن ذلك ما جاء في سفر الملوك الرابع (٩ : ٣٠) عن ايزابل انها جعلت الكحل في اعينها لما دخل ياهو مدينتها . وقد يثبت سابقاً انَّ اهل مصر والشام كانوا يبدلون الاثمد بكبريت الرصاص (galène) الا انَّ مسحوقهُ ليس باسود فيضيفون اليهِ سناجاً وقد أيد رأي المسيو بلاند (Mr Balland) ناظر الصيادلة في الجزائر

٢) الطباشير يتركّب من موادّ صوانية يفرزها في كعوبهِ نوعُ الخيزران المعروف بالبمبو (Bambusa arundinacea Wild.) وكانوا يتخذونها ايضاً بحرق الخيزران المذكور وجمع رماده الذي يحتوي ٧٠ في المئة من الصوان . امَّا لغشهِ فانهم كانوا يتخذون من عظام راس الغنم قطعاً ثم يحرقونها . وقد خلط البعض بين الطباشير وعصارة قصب السكّر . وكذلك الطباشير في لغة اهل الشام يُراد بها اليوم كربونات الكلس (craie)

٣) كذا في الاصل والصواب « يغشون الحضض » (suc de lycium) كما في مفردات ابن بيطار (٢ : ٢٤)

٤) يراد بالحضض اشجار شوكيّة يتخذون عصارتها في ادويتهم . وبرأي العلماء المحدثين انها واحدٌ من النباتات الآتية (Lycium afrum, L. mediterraneum L., Rhamnus paliurus L.) وكذلك ارتأى العلّامة روال (Royle) ان الحضض الهندي هو العصارة برباريس (Rusout)

وقد يغشون القُسط بأصول الراتيش (الراسن) ومعرفة غشه ان القسط له رائحة اذا وُضع على اللسان يكون له طعم الراسن (الراسن) بخلاف ذلك (١ (ص٦٣)

وقد يغشون زُغب السنبل بزغب القاقاس ومعرفة غشه انه اذا وُضع في الفم يحرق والسنبل المصحون يغش . وليزيد في وزنه بالاثمد يُرش عليه (٢ . وكذلك السك مسك (المسّك) المدقوق (٣

وقد يغشون المصطكا بصمغ الابهل (٤ . ومنهم من يغش المقل (٥ بالصمغ القوي ومعرفة غشه ان الهندي يكون له رائحة ظاهرة اذا بُخّر به وليس فيه مرارة والافيثمون الاقريطشي يغشونه بالشامي وقد يغشونه بزغب البسابنج (٦

---

١) القُسط (costus) عرق شجرة تنبت في اعالي جبال حملايا في الهند كانوا يتّخذون منه مركبًا يُدعى « Aucklandia costus Falconer » . وهو ثلاثة ضروب القسط الهندي وفيه الكلام والقسط الاسود واصله من الصين والقسط الاحمر الثقيل واليوم يجهل الاطبّاء تركيب هذين الصنفين الاخيرين . أمّا الراسن (aunée) فهو النبات المسمّى بلسان العلم (Helenium)

٢) الفرد الهندي (Spicanard) اصول نبات ينبت في بلاد نيبال يتخذونها مع اوراقها الاصليّة ويدعونها بلسان العلم « Valeriana Jatamansi D. C. » وهذا النبات ذو رائحة عطريّة كالمسك أُغرم بها الناس منذ القدم . وربّما خالطوا بينها و بين اصول اخرى سنبليّة كسنبل هوك (Ferula Sumbul Hook) وفاليريانا سلتيكا (Valeriana celtica L.) التي كانوا يجلبونها في قرضة

٣) السكّ معجون من الرامك والمسك . امـا الرامك فكانوا يركبونه من بُسر التمر وقشر الرمّان وجوز العفص واثر بيب والعسل وافاويه عتاقة عطريّة . ومثلهُ الغالية وكان يدعونها بالمسك فيدعونها غالية المسك ويتزلونها منزلة السكّ وهذا المركّب وهو دواء عاقل الطبيعة

٤) الابهل (gomme de Sabine) صمغ شجرة كالعرعر وجاء في نسخة الجرباوي التي نشرها برناور (Behrnauer) : صمغ الاباء وفي نسخة ليبيك المطبّة : صمغ الاهل . وكلاهما تصحيف . ويوافق قول المؤلف ما ذكره ديوسقوريدس من غشّ المصطكى حيث قال انّها تُغشّ بصمغ الصنوبر

٥) المُقل صمغ شجرة البشام (Balsamodendron africanum Arn.) وهو نوعان العربي والهندي واجوده العربي اما الهندي فكان يُتخذ من نباتات عطريّة غير البشام . واما غشّ المقل كما ذكره المؤلف فهو مستعار من ديوسقوريدس (ك ١ ف ٦٨) . وما يدعوه المؤلف بالصمغ القوي هو المقل العربي العتيق اليابس

٦) الافيثمون لفظة في اليونانية «ἐπίθυμον» ويكتبه العرب ايضاً افتيمون هو نوع من الكشوث (Cuscuta Epithymum Murr.) وينبت حول الصعتر . وكان اجوده يُجلب من

ومنهم من يغش المحمودة بلبن اليتوع المجفّف ومعرفتها انك تضعها على اللسان فان قرصك فهي مغشوشة . ومنهم من يغشها بنشارة القرون يأخذونه ويعجنونه بماء الصمغ و يسلونه كهيئة المحمودة . ومنهم من يغشها بدقيق الباقلّاء ودقيق الحمّص ومعرفة ذلك ان الخالصة صافية اللون مثل الغري والمغشوشة بخلاف ذلك (١

وقد يغشون المرّ بالصمغ المنقوع بالماء وصفة غشه ان الخالص يكون خفيفاً ولونه واحداً او اذا كُسر ظهر منه اشياء مثل الاظافر ملساء يشبه الحصل وتكون له رائحة طيبة وما كان ثقيلاً لونه لون الزفت فلا خير فيه (٢

ومنهم من يغش قشور شجر اللبان بقشور شجر الصنوبر ومعرفة غشه ان يُلقى في النار فان التهب وفاحت له رائحة فهو خالص وان كان بالضد (ص ٦٥) فهو مغشوش (٣ . ومنهم من يغش المرزنجوش ببزر الخندقوق

وقد يغشون الشمع بالشحم (بشحم) المعز و بالقلفونية وقد يذرّون فيه عند سبكه دقيق الباقلاء والرمل الناعم والكحل الاسود المسحوق ثم انه يحيل ذلك ببطالة الشمع ثم

افربطس ويتّخذونه كسهل . والافثيمون السوري كان دون الافربطشي ولذّه الصنف المدعو (Epithymbron) . اما البسابنج (Polypode) فهو اصل شجرة يدعونها بوليبوديون يتّخذها حتى يومنا اهل البادية كدواء مسهل

١) المحمودة وتدعى سقمونيا نبات في اصوله رطوبة يجمعونها ويجففونها . امّا اليتوع (Euphorbe) فانواع وربما ارادوا باليتوع النباتات التي يسيل منها شبه اللبن . ومنه صنف يُدعى بلبن المغرب (Euphorbia resinifera Berg.) وليس هو المقصود هنا . وهذه الغشوش التي ذكرها المؤلف هنا يسهل نيوم الوقوف عليها الّا ان في عهده كان تحليل المركّبات وافرازها صعباً

٢) المرّ صمغ يستخرج من شجرة البشام (Balsamodendron) او شجرة اخرى صمغيّة يدعونها (Goommiphora Berg.) وهذا الشجر ينبت على جانبي بحر القلزم وخصوصاً في الصومال . وقد عُرف المرّ منذ الزمن القديم وكان القدماء يتبرونه كاثمن المحصولات بمثابة اللبان . ثمّ اتخذهُ الاطباء للمعالجة وكانوا يستقطرونهُ لهذه الغاية فيتخذون خلاصتهُ كدواء

٣) اللُّبان او الكندر صمغ يستخرج من اشجار تنبت في جنوبي جزيرة العرب وفي بلاد الصومال يدعونها (Boswellia) وخصوصاً النوع المسمّى (Boswellia Carterii Bird.) وقد سبق القدماء الى معرفة اللبان قبل المرّ ثمّ شاع ذكرهما على سواء . وكانوا ايضاً يتّخذون من اللبان خلاصتهُ بالتقطير . وهنا قد قصد المؤلف من اللبان قشرهُ خصوصاً . ونقل ما كتب عن ديُوسقوريدس (ك ١ ف ٧٠)

يغمسها بعد ذلك في الشمع الخالص ومعرفة غشه انك اذا اشعلت الشمعة ظهر فيها ذلك (١

وقد يغشون الزنجار بالقلقند والرخام ومعرفة غشه انك تبلّ ابهامك وتغسله فيه ثم تدلك بها السبابة فان نعم وصار كالزبد فهو خالص وان ابيضّ وتحبّب فهو مغشوش. وايضاً يُترك منه بين الاسنان فان وجدته كالرمال فهو مغشوش بالرخام. وايضاً تُحمى صفيحة في النار ثم تذرّه عليها فان احمرّ فهو مغشوش بالقلقند وان اسودّ فهو خالص(٢

وفئة يختارون من الاهليلج الاسود اهليلجاً وهو اصفر ويبيعونه مع الكابلي (٣ وقد يرشون بالماء الجاوشير ويلتونه في الاكيسة عند بيعه فيزيد لهم كل رطل نصفاً (٤ ومنهم ما يأخذ اللكّ (٥ ويُسيله على النار ويخلط معه الآجرّ المسحوق والمغرة ثم

---

١) قصد هنا المؤلف الشمع العسليّ المتّخذ للانارة. وكان اهل التدليس يأخذون منه كميّة فيخلطونها بمواد اخرى الغرض بذلك ثقلها ثم يحسرون فيها التماثيل ويجيبون غشهم بان يغمسوا ذلك الشمع المدلّس بشمع آخر صافٍ فما كان يمكن الاطلاع على غشهم الّا باذابة الشمع. والمؤلف يدعو جانة الشم المغشوش

٢) الزنجار (verdet) جسمٌ مركّب من الحامض الخلّي والنحاس مع اختلاف في صفاته واستحضاره بان يعمل النحاس في الخل وكان القدماء يضيفون اليه شبّ البوطاس والملح او البول. واذا كان الزاج اخضر فأحرق كان رماده احمر اما اذا كانت خضرته خفيفة فرماده اسود والقلقند هو الزاج الاخضر (sulfate de protoxyde de fer)

٣) الاهليلج ثمرة اشجار مختلفة الجنس. وكان القدماء يعدون منه خمسة انواع الاهليلج والاصفر والاسود الهندي ويكون صغيراً والاسود الكابلي وهو كبير والماشف الدقاق المعروف بالصيني. ويختلف الاهليلج لوناً وحجماً على حسب اجناسه ونضجه وكل اصنافه مسهلة. ومن الاسود صنف يُعرف باسم هندي شعيرة (؟) يباع في اسواق بيروت

٤) لا يعرفون حتى الان تركيب الجاوشير (Opoponax) الذي ذكره القدماء. والظنون انه نوع من الصمغ الراتينجي (Opoponax Cheironium Koch.) اما الجاوشير الذي يستعمله المحدثون فهو صمغ راتينجي يستخرجونه من شجرة اسمها (Gommifera Kafal Engl.) ومنها يتخذون دهناً يدخل في كثير من المركبات العطرية. و يزعم البعض ان الجاوشير هو المرّ الذي يتكلم عنه القدماء.

٥) اللك راتينج دودة تدعى في لسان العلم (Tychardia lacca R. Blanchard) وتأوي الى نوع من التين (Ficus laccifera Roxb.) او الى النوع المسمى (Ficus religiosa) وعلى الشاب في الهند وبدغشكار. واللك الاصلي يكون كمداً ضارباً الى الحمرة. اما دم الاخوين

يخالطهُ ويعقدهُ ويبسط اقراصاً ويكسرهُ بعد جفافهِ ويبيعهُ على انهُ دم الاخوين

ومنهم من يدقّ الكمك دقّاً جريشاً ثم يجعل فيه شيئاً من الجاوشير على النار في عسل النحل ويلقي فيه شيئاً من الزعفران فاذا أُغلي وأُلقي فيه الكمك وحُرّك الى ان يشتدّ ثمّ يعملهُ اقراصاً اذا برد ويكسرهُ ويخلط معهُ الجاوشير فلا يظهر فيه

واما جميع الادهان الطيبة وغيرها فانّهم يغشّونها بدهن الخلّ وهو الشيرج بعد ان يُغلى على النار ويُطرح فيه قلب الجوز وقلب اللوز مرضوضاً ليزيل رائحتهُ وطعمهُ ثم يمزجها بالادهان (١

ومنهم من يأخذ نوى المشمش فيستخرج دهنهُ ويخلطهُ بالشيرج ويبيعهُ كانهُ دهن لوز (٢ . ومنهم من يغش دهن البلسان بدهن السوسان ومعرفة غشهِ ان تقطر منهُ شيئاً على خرقة صوف ثم يُغسل فان زال منها ولم يؤثر فهو خالص وان اثّر فهو مغشوش . وعلامة دهن البلسان الخالص ان تُغمس فيه صوفة وتُشعل فان شعلت فهو خالص واذا قُطر على اللبن جمد للوقت . وايضاً ان الخالص منهُ اذا قُطر في الماء الحار فيصير في قوام اللبن والمغشوش (ص ٦٨) يطفو مثل الزيت ويصير كواكب على وجه الماء (٣

(sang-dragon) فراتينج احمر يكوَّن على نوع من النخل الهندي اسمهُ روتنج (Rotang) ويسميهِ العلماء (Calamus Draco Willd.) وقد زعم البعض ان ما سماه ديوسقوريدس قنبارًا (Kinnabaris) هو هو دم الاخوين الآانّ الزنجفر مركّب معدني شبه بحجر الصرف (Hématite) اما دم الاخوين الذي كان يتخذهُ اطباء العرب فنوع من الراتينج كانوا يجلبونهُ من سقطرة في بحر القلزم ولعلّهُ كان يستخرج من شجرة هندية (Dracæna)

١) ليست كل الدهون العطريّة ارواحاً فانّ منها ما كان يتّخذ من النبات فيعطرونهُ . وهذه الدهون تُدعى اليوم دهوناً قديمة . الّا انّهم كانوا يعرفون ايضاً ان يستحضروا الارواح العطريّة . ودونك طريقتهم فانهم يرمون في الزيت ما يريدون استخراج عطره ثم يغلون المزيج على النار ممزوجاً بالماء والزيت زمناً طويلاً حتى تتبخّر كلّ رطوبتهِ . وكانوا يمتحنون تبخّر مائهِ بان يغمسوا فيهِ قطعة من القطن ثم يحرقونها فاذا كان يُسمع لحريقها ازيز عرفوا انهُ لم يجفّ . ثم كانوا يخلطون البزور الدهنيّة مع العطور ثم يستخرجون الدهن العطري عصراً . او كانوا يعجنون تلك البزور في الماء فكان الزيت يطفو على وجه الماء . وهكذا كان استحضارهم لروح البنفسج ولروح الورد الخ . وكان ديوسقوريدس معلّمهم في هذه الصنعة يزيد على خليط الزيت والعطور شيئاً من الملح

٢) وهذا التزوير شائع حتى يومنا . فما اشبه الاولاد بالاجداد

٣) البلسان (Baume de Judée, B. de Giléad,) كان يستخرج من شجيرات

وقد يخلطوا (يخلطون) دهن العراق بدهن الشام اعني الورد والبنفسج وهذا تدليس (١

وقد اعرضت عن اشياء كثيرة مخافة من تعليمها وانما ذكرت ما قد اشتهر غشهُ بين الناس ويتعاطاه كثير منهم وقد امسكتُ عن اشياء كثيرة قد ذكرها يعقوب ابن اسحق الكندي في رسالتهِ المعروفة بكيميا الطبائخ فرحم الله من وقع بيده ذلك الكتاب فمزّقهُ

الباب التاسع والثلاثون

في الاشربة والماجين

وما يضاف الى ذلك اعلم وفَّقك الله انهُ لما كانت المعاجين والاشربة والاقراص والسفوفات والادوية المركبة انما يقف على معرفتها وتيقُّن مصلحتها من حضر عملها ومشاهدة خلطها وعجنها فيجب ان يكون ذلك قبل تركيبهِ بمحضور من جُمل عرفاً على مثلهم حتى تزول الظنة وترتفع الشبهة فان لم يمكنهُ حضور جميع ذلك عُيّنت الحوائج

بطبيّة (Balsamodendron Gileadense Kuntk.) او (B. Opobalsamum Kunth) وغيرها مما يثبت في بادية العرب. وكان في بستان المطرية قرب عين شمس في مصر منها اشجار ذكرها قديمًا السيّاح (اطلب المشرق ٩: ٨٧-١) والبلسان دهن مائع لونهُ اشقر واذا بقي مدة انقسم الى قسمين فالقسم الاعلى سيّال شفّاف والادنى كثيف غليظ. وكان المستعمل منهُ القسم الاعلى ويسمّونهُ زيت البلسان. وافاد عبد اللطيف البغدادي انَّ القسم المائع كان مختصاً بالسلطان وقد وصف الكاتب المذكور طريقة المصريين في استخراجهِ من الشجرة بنزع قشرها وشدخها وجمع لثاها ودفن قنانيها في الارض وعرضها في الشمس وقطف الدهن الطافي. وكانوا يستحضرون ايضاً دهناً آخر اقلّ ثمناً يبيعونهُ في التجارة ويأخذونهُ بإغلاء اصول البلسان واوراقهِ في الماء وقطف طفاوتهِ

١) الدهون المذكورة هنا يغشها الصيادلة في سائر الدهون القديمة. وكان اهل العراق يعدّون منها اجناساً فاخرة. وهذه وصفة نستعيرها من كتاب الحاوي في علم التداوي لنجم الدين الشيرازيّ الذي نشرنا منهُ فصولاً وترجمناها الى الافرنسية. قال في وصف دهن البنفسج (ص ١٦٦):

(صنعتهُ) أن يؤخذ السمسم المقشّر او اللوز الحلو المقشّر الدَّهين ويُجعل في كيس صفيق من الكرباس ويُتخذ الكيس اوّلاً بالند ويُطرح عليهِ اللوز او السمسم بعد ان تُشقّ كلّ لوزة بنصفين وليكن من كلّ عشرة امناء من اللوز خمسة ارطال من البنفسج المقطف الى اربعة ارطال ويُطرح عليهِ البنفسج بالتدريج في كلّ ثلاثة ايّام رطل ويُشدّ رأس الكيس ويُحرك فيهِ البنفسج الى ان يجفّ فاذا استحكم جفافهُ يُطحن ويستخرج دهنهُ

وحملها الشرابيُّ (ص ٦٩) الى مجلس العريف في طبق او غيره ليشاهدها ويسدّ عقاقيرها ويقابل منها مَن يعوَّل عليها . اما شابور (١ او غيره ويخلطها بعد المقابلة بيده ويمضي بها صاحبها ويركبها (٢

ويتقي الله ان لا يركّبها بعسل قصب ولا بقطارة فانهم يركبون المعاجين اشياء من عسل قصب يأخذون منهُ عشرة ارطال بخسارته ويقامون بيهِ حتى يصفو سواده ويرش عليه مقدار ثلاث اواق لبن حليب حتى يصفو وتطيب رائحتهُ ثم انهُ يسحق له وزن درهمين اسفيداج العراقي في اوقية خل خمر حاذق يغليها في القدر وهي تغلي ثم يصلح منهُ ما شاء من الاشربة والمعاجين. فينبغي ان يراعي ذلك عنهم ويُستحلفون ان لا يغمارهُ ولا يأمروا احدًا بفعلهِ لهم وهو لا بدّ له ممّا يرجع في الاشربة الى السواد في المعاجين وتظهر رائحة الخل فيهِ ويميز ايضًا يؤخذ منهُ قليل ويحلّ بالماء في وسط الراحة فان العسل يبيّض مثل الفانيد ومتى تطاولت مدة الاشربة فحمضت او فاتت لم يكن اصحابها ان يردّها الى الطبخ ثانيًا لفساد مزاجها وانحرافهِ (ص ٧٠) ولا يذكّي احد منهم حلاوتهُ بغير ماء الورد ولا يجعل فيهِ مسكًا ولا كافورًا

ويميل شراب البنفسج ان يكون مكرَّرًا فانهُ سريع التغيير وشراب الورد مثلهُ ايضًا ان يكون مكرَّرًا لانهُ انقى وانفع للمعدة والسكنجبيل البزوري والسفاديج يكونان بخل خمر . واذا رأيت السكنجبيل الى السواد لونهُ فهو كما ذكرناهُ من العسل القصب او معمول من القند . وكذلك المعاجين اذا أذيبت في البراني ينبغي ان يراعي ذلك ولا يعمل شي من سائر الاشربة والسويقات وغيرها الّا على النسخ من كتاب سابورا (١ وغيره بعسل النحل والمعاجين والاشربة من السكر الابيض . وكذلك السنونات وكذلك الاقراص يعني تركيبها على ما نصّهُ الفلاسفة . وشراب العناب يقوّي بكثرة العنّاب فيه لانهُ يراد لطافيه الدم (٣ . ولا يعجن الورد بالراسيني من السكر

١) شابورا او سابورا كما كتبهُ المؤلف في ذيل هذه الصفحة احد الصيادلة الذين كتبوا في المعاجين والاشربة وغيرها. على انَّنا لم نجد اسمهُ في فهرس طبقات الاطباء لابن ابي اصيبعة ولعلّهُ هو سابور بن سهل المتطبّب النصراني صاحب الاقراباذين المعوَّل عليهِ في البيمارستانات . توفي سنة ٢٥٥هـ (٨٦٩م)

٢) راجع المجلة الاسيوية الفرنسوية (J. A., 1861¹, p. 16-17)

٣) كذا في الاصل . ولعلّ الصواب : ليُرَدّ لطيفةُ الدم

وكذلك البنفسج المربّى لا يُعلف ايضاً بسكر فانهُ غش وتدليس ويستحيل في المعدة صفراء ويجودون عقد جميع الاشربة حتى يكون لها قوام. ولا يعجن التمر هندي الذي قد عتق عندهم وجفّ بالخل. ولا يباع الدارصيني المصري على انهُ فارسي. ولا يلقوه في الخيش المبلولة ليزيد لهم في الوزن (ص ٧١) ولا يغشوا شيئاً من ادهان العراق بشيء من ادهان الشام ولا بدهن الحل السيرجّ. ويمنعوا من حسو (كذا) الشعير في الاقران لانهم يعيدوا عليه ماء ثانياً وربما وردّوه بيسير من المرة فيعتبر جميع ذلك ويعتبر موازينهم وصنجوهم في كل وقت وتكون اواقيهم معيّرة على الرطل البغدادي عشرة دراهم ونصف وثلث الاوقية

الباب الاربعون

في العطر والعطّارين ١)

ينبغي ان يعرّف عليهم عريفاً ثقة فان غشوش العطر اشياء كثيرة مختلفة بحسب غشرشها واختلاف انواعها. فمن ذلك المسك يُعمل منهُ اثنا عشر صنفاً مغشوشة كلها. فمنهُ ما يعمل من زراوند ورامك ودم الاخوين ويُعجن بثله مسك جيد ويُعمل منهُ ايضاً عنبر ومنهُ ما يُعمل من سنبل الطيب ويوردّ بعود وقرنفل وشادروان وزعفران ويُعجن بماورد ويخلط بثله مسك جيد خالص. وقد عملت نوافج مسك من قشور الابلج والشيرج الهندي ومثله شادروان ويُعجن بماورد الصنوبر ويخلط مع كل اربعة مثاقيل من هذه العقاقير (ص ٧٢) مثقال واحد مسك ويُحشى في النافجة ويسدّ راسها بماء صمغ وتجفّف على راس تنور ويباع. ويُعمل ايضاً نوافج من الابلج والشادروان الذي قد نُزع صبغهُ بالماء الحارّ ومعهم الايرذون ويُعجن بماء الصمغ ويُخدم ويُعمل مع كل ثلاثة مثاقيل منهُ مثقال مسك جيد صيدي او تبتي ويُسحق الكل ويحشى في النافجة ويوضع على راس تنور ويباع

ويعمل ايضاً من قشور البلوط المخدوم بالنار المجفّف ويخلط منهُ ثلاثة اجزاء بجزء مسك ويلقى منهُ ايضاً كل مثقالين على مثقال مسك ويُباع ويحشى ايضاً في النوافج.

---

١) راجع المجلة الاسويّة الافرنسيّة (J. A., 1860², p. 386-392)

وابلغ ما يدلّ على النوافج وقوارير المسك ان تفتحها وتلثمها كالمستحسن لها فان طلع الى فيك من المسك حدّة كالنار فالمسك فحلٌ لا غش فيهِ وان كان بخلاف ذلك فهو مغشوش. وقد يُلقى على المسك الجيد التبتي دم الاخوين او دم الغزلان او دم الجداء الثقيل وقد يُسحق المسك ويُحشى في مصارينها وتُشدّ بخيوط صغار على قدر العنبر ويجفف على الجبال في الظل ويُشق عنهُ ويُعبّى مع غيرهِ في القوارير . ومنهُ ما يغش بالكبود المحروقة المسحوقة. وقد يطرح في المسك حب رصاص على مقدار الخردل مصبوغة بالمداد فلا تبين الّا عند السحق (ص ٧٣)

وينبغي ان يعتبر ايضاً جميع ذلك الذي ذكرناهُ من غشوش المسك وهو ان تطرح في فيك منهُ شيئاً وتتفل على بعض الملابس البيض وتنفضهُ فان انتفض ولم يصبغ فلا غش فيهِ من سائر ما ذكرنا وان صبغ ولم ينتفض فهو مغشوش

وغشوش العنبر خمسة فمنهُ ما يعمل من زبد البحر والصمغ الاسود والشمع الابيض والصندروس وسنبـل الطيب ويخدم ويُعمل منهُ عنبر . ومنهُ ما يعمل من زبد البحر والصندروس والعود والسنبل . وربما خاط معهُ بعر الظبا ويُخدم ويُدق ويدفن في زبل الخيل سبعة ايام ويخلط معـهُ مثلهُ عنبر خالصٌ وربما عُمل منهُ تماثيل وصور وقلائد وغير ذلك ومنهُ ما فُعل من المسك الجيـد والصمغ والعنبر ويباع قلايد وتماثيل

وجماجم العنبر قد تُطلى بالصندروس فيجب ان يُحذف رؤوسها حتى يعلم سلامتها منهُ ومن غيره وربما حُفرت والقي فيها القطع الرصاص واذا حذف راسها نظر ايضاً الى داخلها. والصندروس ايضاً اذا كان عليها منـهُ شي. فانهُ يغيب اذا حُذف ولن كانت معيوبة بما ذكرنا ايضاً نظر ولم يُخف

والكافور ايضاً يعمل منهُ سبعة اصناف (ص ٧٤) مغشوشة . فمنهُ ما يُعمل من الرخام ونحاتة الخرَاطين بنشاره كافور معجون بماء الصمغ الابيض عجر (كذا) على الغرابيل . ومنهُ مايعمل ايضاً من حجارة النشادر تُكسر صغاراً ويخلط بهِ . ومنهُ ما يعمل ايضاً من ذريرة غير مفترقة وجبس قلار (؟) غير مشوي وصمغ ابيض ومثل الجميع كافور. ويعمل ايضاً من خشب الخروع ويعمل ايضاً من الارز الدُّبِّر فان عُمل تماثيل وقلائد جُعل في كل خمسة مثاقيل من الارز مثقـال واحد كافور خالص المبيع فمثقال بمثقال . ومنهُ ما يعمل ايضاً من نوى البلح المنحوت يُدقّ حتى يصير مثل الزبد ويُخلط

بمثله كافور ويُعجن بماء الكافور وجميع ما غشه يبان في الماء والنار لانهُ اذا طرح في الماء فترق كان مغشوشًا واذا عام فهو جيد لا غشَّ فيهِ. وكذلك اذا أُلقي قطعة خزف او جام على النار وجعل عليها شيء من الكافور وكان جيدًا طار ولم يمكث وان كان شيء مما ذكرنا احترق وصار رمادًا

وكذلك الزعفران غير المطحون يُغش باشياء كثيرة فمنها ان ينثر لحوم (ص٧٥) صدور الدجاج وكذلك لحوم البقر بعد سلقها وتنثر بالملح وتُعقد فاذا قُددت تصبغ بماء الزعفران وتخلط في الزعفران. ومعرفة غش ذلك ان تنقعهُ في الخل فان الخل يتقلص ويبان غشهُ واذا وُجد عند مذاقة حلوًا فهو قليل الصبغ فقد ثُقّل وغُش بالقند. والمطحون منهُ اذا أُلقي في اناء من زجاج فيه ماء فرسا منهُ شيئًا (شيء.) فهو مغشوش بدم الاخوين فيأخذ ما رسا ويزجهُ بخل ويحركهُ فانهُ يصبغ روحهُ ويحمرّ. وقد يغش بالنشا المطحون ومعرفتهُ ان تبلّ منهُ قليلًا على النار فانهُ يندبق ويتعقد

وغش العود ان يأخذ الصندل قشرًا مُطرًّا يُبرى به العود ويُنقع في مطبوخ الكرم العتيق شهرًا يغيّر عليه بعد كل ثلاثة أيام ويُنشف ويخلط في العود فلا يشك انهُ عود فيُعتبر بالنار قد يُغلى فيباع مُطرًّا مدرج (كذا)

وغش اللبان فانهُ يعمل من دهن حب القطن ويعمل فيه دهن حب المشمش ويعبق بشيء من المسك التبتي الجيد الافاوي ويعمل من الزيت الانفاق ويُعبّق ويطرح فيه اطراف الآس الاخضر فيجي. منهُ خضرة تقارب البان (ص ٧٦) وغش ماء الكافور ويعمل من عقد خشب الصنوبر وقشور الكندر ويصعد فلا يشك انهُ خالص. ومعرفة غشهِ انهُ اذا قُطر في خرقة بيضاء. وغُسل منها فخرج فهو مغشوش وان طبع فهو كما ذكرنا من عقد الخشب والقشور

وغش المحلب المعجون المؤلف بالادهان يغشهُ العطارون بالاوز المرّ المقشّر من قشريهِ ايضًا. ويُغش ايضًا بنوى المشمش ويُغش بنوى الخوخ المقشر ويخلط معهُ مثل نصفهِ محلب ومنهم من يأخذ كُسب السمسم فيجففهُ ويسحقهُ ويعجنهُ مع المحلب ويبخرهُ ويبيعهُ. وقد يخالطهُ قوم من العطارين بالنشا ويبيعونهُ فينبغي ان يعتبر عليهم ذلك ويحلفوا بما لا كفاءة لهم منهُ

وقد يُغش الزعفران ايضاً بالأكثوب (؟) المصبوغ بالبقم بعد ان يقطع نظير شعير الزعفران ويخلط معهُ نشأ مصبوغ ويُذرّ عليهِ سكرٍ مسحوق في لينة وباصقـة ويخلط عليهِ الزعفران ويعبّى في السلال . ويعملون ايضاً سكراً من نبات الحلبة منقوعاً في خمرٍ عتيق قد اذيب فيهِ قليل كركم منخول من زعفران اياماً معاومة ويبيت في الظل فلا يشك الذي يراهُ انهُ زعفران ويخلط في السلال ويباع . وهـذا الزعفران الشعر وغيرهُ يلون الشعر فاذا اردت معرفتهُ خذ من وسط السلّة فانهُ يبين لك الغش والعيب ويطحن هذا الزعفران المغشوش بعينهِ . وربما خُلط معهُ وزن جلنار ملتوت بشيرج . وقد يُغش بالزجاج المطحون ايضاً . وقد يستحلّ قوم منهم ان يخلطهُ بابوا مليح (؟) النصف منهُ والنصف زعفران ويبيعهُ على المسافرين . وقد يستحلّ اقوام من باعة الزعفران ايضاً ان يقيم قرطاساً في وسط الجبنية يجعلهُ وعلى جانبها خاوناً مغشوشاً والجانب الاخر خاوناً جيـداً ويدفع عن كل انسان منها على قدر معرفتهِ ورايهِ فيهِ

ويُغش العود ايضاً من قشور خشب يقال لهُ الابليق ويجيء شبه العود الّا انهُ يُبرى كما يُبرى العود ويُنقع في ماء مدبر بالمسك الجيد والورد الصحيح والكافور اياماً كثيرة ويُخرج منهُ وينشف ويدرج ويُباع . وتُغش الغوالي وقد تعمل غالية اصلها قطران مصعد مدبر بالقرعة الى ان يذهب نتنهُ ورائحتهُ ثم يجعل على كل مثقالين منهُ مثقـال مسك جيد ومثقال عود طيب ومثقال مسك تبتي او صعيدي (ص ٧٨) ومثقال لادن مسـول على النار ونصف مثقال عنبر وثلاث مثاقيل دهن بانٍ مديني بارد

وربما عُمل بغير عنبر فيجيء طيبهُ عجيبةً وغالية من نخالة الرخام والدحور والشادروان مدبره (؟) ويحمل على جسد كل مثقال منها ما قد ذكرناهُ من الطيب فيما تقدم يعمل جسدها من قلب الفستق . ويجيء عجيبة ايضاً اذا حمل على جسدها الطيب كما ذكرنا . وقد يغشون الغوالي ايضاً بدون هذا يعمل اصلها من المرداشنج المدبر وغالية اصل جسمها الاهليلجة وغالية اصل جسمها من الوسباي وغاليـة اصل جسمها من الوز القسطالي الصغار وغالية اصل جسمها من صمغ الشادروان وعيدانه ويحمل على جسدِ هذه الغوالي لكل مثقالين منها وزن دانق مسك جيد وحبة مسـك . واكثر من يعمل هذا الذين يجلسون على الطريق ممن لا دين لهُ وكذلك من لا لهُ دين من العطارين ولا يخافون من الاستخفاف بهم

فينبغي ان يراعى ذلك بمباشرة العريف حتى لا يكون شيء منهُ ويندرهم ويخوّفهم فن تخطّى الى شيء مما ذكرناهُ أُدّب وأُشهر واذا اردت ان تسحق (ص ٧٩) العنبر تستعملهُ فيما شئت بلا نار فخذ بلاطة رخام وضعها على الثلج فاذا صارت باردة مثل الثلج وتكون قد فرصتَ العنبر صغاراً فضعهُ على البلاطة فانهُ يبرد ويجفّ ثم اسحقه فانه ينسحق كالكحل واستعمله فيما شئت في الوقت والاعادة الى صفتهِ اذا حُمي فانه دهن فلا يرجع بعدها البلاطة بل على النار

معادن الترنسفال غير الذهبيّة

بقلم اسكندر افندي طحيني احد طلبة السنة الثالثة في المكتب الهندسي في جوهنسبورغ

لا يتمّ وصفنا لمعادن الترنسفال الذهبيّة اذا لم نأتِ على ذكر بقيّة المعادن الموجودة في الترنسفال لاهميتها كالماس ولدخول بعضها في تعدين الذهب كالفحم

١ الماس

تعدين الماس في جنوبي افريقية يدخل اكثره تحت ادارة تلك القومبانيّة الالماسيّة المشهورة المعروفة بقومبانية دي بير (De Beer) التي يشتغل لحسابها عدد لا يُحصى من الرجال. وفي استحضار الماس كما في غيره من المعادن في جنوبي افريقية اشغال شاقة كتكسير الحجارة الزرقاء في قلب الارض ونقلها الى وجه الارض ومعالجاتها العديدة حتى تصير اخيراً الماساً نظيفاً يُعرض على ارباب التجارة ويأخذ بالالباب لمحاسنه وبهائه ويقوم بهذه الاشغال الزنوج تحت ادارة البيض واما هؤلاء الزنوج فعند دخولهم الى المعدن يشترط عليهم بانهُ لا تكون مدة شغلهم فيهِ اقل من ثلاثة اشهر وفي طول هذه المدة لا يجوز لاي منهم بالخروج من دائرة المعدن المحاطة بالاسلاك الحديديّة وتقوم القومبانيّة بتقديم حصات الاكل لهم وكل ما يلزمهم لمعيشتهم من المأوى والملبس الخ

واما هؤلاء البيض الذين تُناط بهم ملاحظة الزنوج وتنقية الماس كما قدمنا فقد شيدت لهم القومبانيّة بلدة جميلة لاجل سكناهم وسكنى عيالهم فمن احب السكن فيها اقام والّا فلهُ الحريّة بان يقيم حيث يشاء وادارة هذه القومبانيّة بايدي رجال دهاة

عنكين بالامور طالما اعربوا للعالم بحسن درايتهم ومهارتهم انهم يعرفون من اين تؤكل الكتف

وسنة ١٨٩٥ اقيمت ماكنات جدد على اخر طرز لاجل طحن الحجارة الزرقاء الشديدة الصلابة وفي سنة ١٩٠٠ و ١٩٠١ كانت ارباح القومبانيّة المذكورة ٤٠ بالماية دون راس مالها وقد بيع من الالماس في هذه السنة المذكورة ما تبلغ قيمتهُ ٤,٦٢٨,٨٤٥ جنيهًا. وفي سنة ١٩٠٥ بلغت قيمتهُ ٤,٨٠٢,٨٤٤ جنيهًا وقد كانت الارباح الموزعة على حاملي الاسهم ٤٠ بالماية ايضًا

وأما أكلاف التعدين فتبلغ كل سنة زهاء ٢,٠٠٠,٠٠٠ جنيه ولعلَّ هذه النفقات تخفض بما تنويه القومبانيّة من الاصلاحات وتحسين طرائق التعدين. وكان العامل من الزنوج يأخذ ٤ ليرات انكليزيّة شهريًا واما الابيض فست ليرات انكليزيّة كل اسبوع وكان في سنة ١٩٠٦ عدد الزنوج المشتغلين في القومبانيّة ١٧,٢٦٠ وعدد البيض ٣١٩٢ واما في المدة الاخيرة فان القومبانيّة قد خفضت من عدد الزنوج خمسة الاف ومن البيض ١٠٢٠ نظرًا لوجود الازمة الالماسية في العالم (١

الماس المعدنيّ

﴿ معدن البرميه (Premier D. M.) ﴾ موقع هذا المعدن الى شرقي بريطوريا واول ارسالية أُرسلت منهُ الى لندن كانت في ٣٠ تموز سنة ١٩٠٣ وكانت قيمتها ٣٣ الف قيراط من اجود انواع الماس وقد استخرج منهُ بمدة الخمسة اشهر بعد هذا التاريخ الماس بقيمة ٩٠,٠٠٠ جنيه انكليزيّة لكن الستين بالماية من صافي هذه الارباح هي ضريبة للحكومة الترنسفاليّة وفي ٢٦ ك ٢ سنة ١٩٠٥ وجد بهِ أكبر جوهرة في العالم ووزنها ٣٠٢٤٨ قيراطًا وحجمها ٤ انش طولًا بعرض ٢٧ انش بسمك ١٧ انش وعلى ما يقال انها من افخر اجواد الجواهر (٢

وقد اكتشف معدن ماس قرب كريكوالند وست (Criqua Land West) وقرب كلركسدورب وقرب كريستيانا وتوجد منهُ آثار عديدة في بلاد الزناديلي

١) واذا اردت زيادة ايضاح عن الالماس فراجع مقالتنا السابقة في المشرق (٦ : ٨٦٥)
٢) راجع مقالتنا عنها في المشرق (٨ : ٢٨٥) وقد صوّرت هناك على كبرها الطبيعيّ

(Zebédili) شمالي بريطوريا وكذلك في مقاطعة واطربرغ وفي عدة مواضع غيرها وفي روديسيا ومستعمرة الاورنج

وقد قال المستر باونت (Beunet H. Brough) ان محصول العالم من الالماس حتى سنة ١٩٠٢ كان ٨٣٠ مليون قيراط او ١٧ طنًا بالتقريب فمن هذا العدد ٦٨ مليون قيراط استُخرجت من جنوبي افريقية ثم تأتي بعدها البرازيل ١٥ مليون قيراط ثم تأتي بعدها بورنيو وبلاد الهند بمعدل ٣٠٠,٠٠٠ قيراط

الماس النهري

يوجد الماس النهري على ضفاف نهر الفال بطول تعديله ٧٠ ميلًا قرب كمبرلي ومما يقال ان خمسة الاف عامل يشتغلون هناك

واما محصول هـذا الماس سنة ١٨٩٠ فكان ٢٨,١٢٨ قيراطًا بقيمة ٧٩,٢٣١ ليرة انكليزية بمعدل ٩٠ ليرة لكل عامل واما سنة ١٩٠٥ فكانت معدل اجرة العمال ٧٨ ليرة لكل عامل وسنة ١٩٠٥ وجدت آثار عديدة لهذا الماس في روديسيا

٢ معادن الفحم

ان معادن الترنسفال وحدها انتجت من الفحم سنة ١٩٠٣ ١,١٣٧,٢٥٤ طنًا يقدَّر ثمنها بـ ٨١٥,٣٥٠ جنيهًا. وأحرق من نوع «الكوك» المستخرج من الفحم وهو يعطي حرارة قوية جدًا ما يبلغ ثمنهُ ٢٠,٠٧٦ جنيهًا

والفحم المعدني في الترنسفال كثير واكثرهُ في البلاد العالية عن سطح البحر بعض الارتفاع ويقدرون مساحة هذه الاراضي الحاملة الفحم ٥٦,٠٠٠ ميل مربع واكثر معادن الفحم المكتشفة يبلغ العرق الفحمي فيها من ١٠ اقدام الى ٥٠ قدمًا سمكًا

لكنهُ في بعض الانحاء يوجد الفحم المعدنيّ مختلطًا بعنصر الدوليريط (Dolérite) فيتلف ولولا وجود الدوليريط هـذا في بعض الحال لكانت جهات جنوبي افريقية اغنى بلاد الله من هذا القبيل

ويُستخدم هذا الفحم المستخرج لاجل الوقود في مستعمرة الكاب وناتال واكثر الفحم المستخرج من الترنسفال يُستخدم لتعدين الذهب ولو توفقت شركات الفحم فيها الى اصطناع نوع جيد من الكوك لاجل تصفية الذهب لزادت ايضًا مقطوعيته

واما الفحم المستخرج من ناتال فيباع اكثرهُ للبواخر التجاريَّة وغيرها القادمة الى ثغور البلاد كما ان الحكومة في ناتال تقدّم كل سنة للاسطول البريطاني ١٢ الف طنّ منهُ

—الفحم في مستعمرة الكاب— يوجد الفحم في هذه المستعمرة قرب بلدة مولطينو (Molteno) واندوي (Indwe) بكثرة ويتّصل بهذه المعادن فرع من السكة الحديديَّة الشرقيَّة طوله ٦٦ ميلًا ولكن معادن الفحم في مستعمرة الكاب ليست من الصنف الجيد فان انواعها احط جميع انواع الفحم في جنوبي افريقية · وقد كان محصول هذه المعادن سنة ١٩٠٥ ١٦٤,١١٢ طنًا بقيمة ١٣٦,٩٣٨ ليرة انكليزيَّة

وقد توجد ايضًا معادن الفحم في كالا (Cala) وقرب ماكلير (Maclear) وقرب كرادوك (Cradock) وقرب بوفور وست (Beaufort West) في جبال الكارو (Karroo) المشهورة والاستعان لم يطلعهم حتى اليوم على نوع هذا الفحم أهو من الجنس الجيد ام لا ولكن يؤمل العارفون وجود مستودعات جيدة جدًا من هذا الفحم تحت الطبقات الارضيَّة التي يتكون منها الكارو

—الفحم في ناتال— اكتشف الفحم في ناتال سنة ١٨٣٩ واهمُ واغنى هذه القاطعة موجودة ما بين بلدتي نيوكاستل (Newcastle) وايلندسلخت (Elandslaagt) واما المعادن المكتشفة في اوترخت (Utrecht) وفريهيد (Vrijheid) فلم تعدّن حتى الآن وقد تباع البواخر من ثغر دربان بقيمة ١٥ شلينًا ونصف الطن الواحد من هذا الفحم

وكان محصول الفحم سنة ١٩٠٥ ١,١٢٦,٤٠٠ طنّ واما في بلاد الزولولند فيوجد معدن الفحم يمتد الى ٢٥ ميلًا من جون سنطا لوسيا (Santa Lucia) وسمك العرق الفحمي فيه ٣٢ قدمًا وهو من افخر واجود اجناس الفحم

—الفحم في مستعمرة الاورنج— لم يعدَّن في هذه البلاد الا القليل من معادن الفحم الكثيرة في تلك البقعة واهم المواضع المكتشف بهِ هذا الفحم هو على مقربة من بلومفنتين (Bloemfontein) ١٢ ميلًا الى الشمال الشرقي وقرب كرونستاد (Kroon-staad) وهيلبرون (Heilbron) وقرب بلدة فليجوان دريفت (Vljuins Drift) واما محصول الفحم فيها فكان سنة ١٩٠٥ ٤٧,٩٢٦ طنًا

— الفحم في الترنسفال — ان بلاد الرند التي فيها بلا مشاحة اغنى معادن الذهب المكتشفة في العالم لما كانت بلغت هذا الشأن من الاهمية والعظمة لولا وجود معادن الفحم على مقربة منها فان في معادن الرند الشرقيَّة طبقة الفحم الحجري تعلو فوق طبقة الذهب ويستخرج المعدنان من النفق الواحد فلا يخفى على القارئ اللبيب كم يكون هذا الاتفاق العجيب مهماً في بلاد مثل الترنسفال حيث لا توجد مجاري مياه طبيعيَّة لتوليد القوة الكهربائية لتشغيل المعادن والمعوَّل عليهِ الان بالتعدين هو الفحم وحده

وقد انفقت معادن الفحم سنة ١٩٠٥ ١،٤٧٤،٤٢٨ طناً من الفحم بثمن ١٣ شليناً وتسعة بنسات ونصف الطن الواحد بمعدَّل شلين وتسعة بنسات لكل طن من التربة الذهبيَّة المستخرجة

واما المعادن الفحمية المهمة فهي معادن براكبان (Brakpan) وميدلبرغ (Middelburg) وهيدلبرغ (Heidelburg)

وتوجد كذلك معادن الفحم في جنوبي جوهنسبورغ قرب فرينخن (Vereen-ging) ومنها يُستجلب الوقود خدمة السكك الحديديَّة الترنسفالية . وكذلك يوجد الفحم بكثرة قرب واطرفال (Waterval) الى شمالي بريطوريا . ومن محاسن هذا المعدن الوحيد انهم لما حفروا فيه اول حفرة لاستخراج الفحم وجدوا بين طبقات الفحم عرقاً من اغنى العروق الذهبيَّة المكتشفة لحد الان يعطي اكثر من احدى عشرة اوقية من الذهب في كل طن واحد من التربة . وقد يوجد الفحم ايضاً في بطرسبرغ . واما محصول الفحم في الترنسفال فكان سنة ١٨٩٥ ١،١٥٢،٢٠٦ طناً فبلغ سنة ١٩٠٥ ٢،٥٣٩،٧٠٦ طنات بيعت بنحو ٨٤٣،٤٠٠ جنيه

— الفحم في سوازي لند — اكثر انواع الفحم الموجود في هذه المقاطعة هو من نوع الانطراسيت (anthracite) وقد اكتُشف اكثره في البلاد المرتفعة قليلاً عن سطح البحر وسوف تعدَّن هذه المناجم على طريقة نظاميَّة عند تمتُّة السكة الحديديَّة اليها

— الفحم في باسوتولند (Basoutoland) — يظن العلماء ان الفحم موجود بكثرة في هذه المقاطعة لكنَّهم لحدَّ الآن لم يستخرجوا منهُ شيئاً .

— الفحم في بشوانالند — اكثر معادن هذه الناحية ليس فحمها من النوع الجيد وليس من وراء تعدينها ارباح تذكر

— الفحم في روديسيا وبلاد شركة اواسط افريقية الجنوبية — معادن الفحم في هذه البلاد عديدة جداً وغنيَّة الى حدٍ يصعب تصوّره فعلى جانبي نهر الزمبيز يوجد الفحم بكثرة غريبة وقد قال المستر ڤان ناس (V. Ness) ان نوع الكوك الموجود في هذه القاطعة صالح كل الصلاح لاجل تسييل الفضة والذهب وقال المستر پنكستون (Pingstone) ان الفحم الموجود في هذه القاطعة يفوق جميع انواع واصناف الفحم الموجودة في الترنسفال

واما اهم المعادن الفحميَّة في تلك الناحية فهي معادن وانكي الواقعة على مسافة ٢٠٠ ميل شمالي بولواير وطبقات الفحم الموجودة فيه يقال ان سمكها ١٨ قدماً وتمتدّ مسافة عشرة اميال وانها توازي ٣٠,٠٠٠,٠٠٠ طنّ من انقى انواع الفحم ومما زاد هذه المعادن شهرة هي طريق السكة الحديديَّة المارّة بها الى شلالات ڤيكتوريا وقد كان محصولها سنة ١٩٠٥ ٩٧,١٩١ طنًّا من الفحم

وقد يوجد كذلك معدن يدعى (Sengue) يُروى عنه انهُ من اغنى المعادن الفحميَّة المكتشفة ايضاً

— الفحم في بلاد الزمبيز — توجد مستودعات غنيَّة للغاية في هذه القاطعة والتعدين قائم بها على قدم وساق واهمّ معادنها الى مسافة عشرين ميلاً الى شمالي بلدة تاتي (Tati) كذلك يوجد مستودعات ارضيَّة للفحم قرب شلالات مرشيسون وقرب نهر شيره (Shiré) وكذلك بين شيره والزمبيز على بعد خمسين ميلاً من جبال شيره العالية وكذلك الى الشمال الغربي من بحيرة نياسا (Nyassa)

٣ معادن الفضة

ان العارفين بتركيب الطبقات الارضية قد استدلُّوا على وجود معادن الفضة في كل جهات افريقية الجنوبيَّة من نواحي بُوْت اليزابت الى بلاد قبائل الماتابلي ومن كافيرية الى ناتال . الّا ان تعدين هذا المعدن محصور في بعض الانحاء وخصوصاً قرب پريطوريا وقرب زيروست (Zeirust) وتعرف معادنها بمعادن ماريكو (Marico) التي يستخرج من تربتها نحو ٦٠ اوقيَّة من الفضة في الطن الواحد . ومن المعلوم ان معادن الفضة يُحتاج الى تعدينها كميَّة وافرة من الفحم لتصفية المعدن وتسييله . وفي الترنسفال

« الكوك » وافرٌ جدًا ومن ثمَّ لا شيء يعوق العملة عن توسيع نطاق تعدين تلك المناجم

وقد ثبت اليوم انَّ القدماء عدَّنوا مناجم الفضة في مستعمرة الكاب شمالي كاب تاون في الجهة الموازية لجزيرة پوموتا (Pomona) وكذلك قد شاع آخرًا انهُ وجدت معادن فضيَّة في بلدة اوتافي (Otavi) في بلاد الجرمن الغربيَّة وفي معاملة ماشونالند وجدت كميَّات وافرة من الفضة مختلطة بمعادنها الذهبيَّة فاستخرجوا من الفضة سنة ١٩٠٦ ٢١٦,٦٢٤ اوقية

٤ معادن النحاس

اكتُشف النحاس في جنوبي افريقية في القرن السابع عشر والمعدن المكتشف وتشذر هو اول معدن عدَّنهُ قومٌ بيض البشرة وقد أُرسل منهُ الى اوروبا سنة ١٨٥٢ احد عشر طنًّا واما الان فان المحصول السنوي يربو على الاربعين طنًّا

واعم معادن النحاس تخصُّ قومبانيات محدودة وهذه المعادن في مستعمرة الكاب وهي واقعة على مسافة ١٩ ميلًا بين پرت نولوط وكاب تون وكذلك توجد معادن مهمَّة في ناماكوالند وفي مستعمرة الجرمن الغربيَّة

وقد كان وارد النحاس في مستعمرة الكاب سنة ١٩٠٥ ١٩,٥٥٠ طنًّا بثمن ٣٠,٠٦٩ جنيهًا وقد اكتُشف الان على اثار من معادن النحاس القديمة التي كان يقوم بتعدينها الوطنيون على ضفاف الليمبوبو وفي مستعمرة الالمان الغربية ودمارالند (Dam-araland) ويسعون الان بتعدين مناجم غاية في الغنى في بلاد روديسيا الشرقية تعطي الى ٥٠٪ بالمائة من النحاس وقد اكتُشف ايضًا على معادن قديمة من هذا المعدن يبلغ عمقها من ١٠ الى ٥٠٠ قدم وجدوا بها معدات تعدين النحاس بكاملها مع الآلات المعدة لتسييل النحاس وقد توجد مستودعات ارضية نحاسيَّة الى جهتي ضفاف الزمبيز وفي مقاطعة فيكتوريا في روديسيا وفي اودية جبال مرشيسون في الترنسفال وقرب فرنسيستون وقرب بلدة فريهيد (Vrijheid)

٥ معادن الرصاص

معادن الرصاص كثيرة قرب ماريكو في الترنسفال حتى انهم استخرجوا في يوم

واحد اربعة طنات منهُ وقد استدلوا على وجود الرصاص في اكثر انحاء افريقيا الجنوبية وهو يوجد مرارًا مختلطاً بالذهب كما ترى في جبال ماشونالند وقد يكون وقتئذٍ على شكل التصدير المتبلور

واما في روديسيا فبلغ وزن الرصاص المستخرج سنة ١٩٠٦ ١٫٣٣٤ طناً وقد اكتشف مؤخرًا على مستودعات من الرصاص غنية جدًّا الى الشمال الغربي من روديسيا

٦ معادن التوتيا

توجد معادن التوتيا في مقاطعة مالساني واطربورغ (Waterborg) غربي الترنسفال وكما هو معروف ان هذا المعدن يستخدم لافراز الذهب عن سيانيد دي بوطاسيوم فيصير من وراء تعدينهِ هنا توفير عظيم لتعدين الذهب ولذلك قد اقبلوا على استخراجهِ وقد اكتشف ايضاً على التوتيا في روديسيا الشمالية

٧ معادن التنك

اكتشف التنك بوفرة في بلاد السوازي لتمتد الى ستين ميلاً شرقي بحيرة كريسّي (Ghrissie) ومستودعاتهُ بين صخور صلبة ويقال ان الطن من التربة يعطي من ٢٠ الى ٣٠ ليرة من المعدن المخلوط او ٢١ ليرة من التنك الصافي . واما معادن مبابان (Mbeban) التنكية فيقال ان محصولها سنة ١٩٠٦ زاد على ٢٢٠ طناً . وقد وجدت ايضاً مستودعات التنك قرب كراهامستون (Grahamstown)

وقد اكتشف مؤخرًا على معادن غنيَّة جدًّا من هذا المعدن الى مسافة ١٦٥ ميلاً قرب كاب تون وقد استخرج منها سنة ١٩٠٥ ٤٨ طناً من التنك

٨ معادن الحديد

وقف علماء الجيولوجيا على مستودعات حديديَّة في مستعمرة الكاب والاورنج والناتال والترنسفال وروديسيا ومقاطعة الشركة الانكليزية لاواسط افريقية لكنها الى هذه الغاية لم يعدن منها شيء . وقد تقرَّر الآن ان الحديد كان يعدن في هذه البلاد من اقدم الزمن وقد توجد آثار هذه المعادن في ماشونالند والاتاتين التي كان الحديد يسيل فيها كانت على مثال امرأة وقد تكلم عنها المستر تيودور بنت (Th. Bent) وغيره من السيّاح

ومما يقال ان الحديد المكتشف قرب دندو (Dundu) في مستعمرة ناتال هو من اجود انواع الحديد في المعمور

ومما يستحق الذكر هنا ان الزنوج الوطنيين لا يزالون الى يومنا هذا يستخرجون الحديد من قلب الارض ومنهُ يتخذون اسلحتهم وسهامهم

وقد توجد قرب شلالات ڤيكتوريا مستودعات فحم وحديد غنية للغاية ومما يعتقد بهِ ويؤكد انهُ في المستقبل يكون لجنوبي افريقيا شأن عظيم بتصدير قضبان الحديد الفولاذية وغيرها من المصنوعات الحديدية

٩ معادن الزئبق

يوجد هذا المعدن في الترنسفال وماريكو والى الغرب وقرب بلريتون والى الشرق ويقال انهُ موجود ايضاً بضواحي كاب تون ونواحي كريكوالند الغربيَّة ومعلوم ان هذا المعدن يستعمل لتعدين الذهب في الترنسفال وتساوي الزجاجة الواحدة منهُ من ١٠ الى ١٢ ليرة انكليزيَّة

١٠ الملح

توجد احواض الملح في كل مستعمرات افريقية الجنوبيَّة واما اعظمها شأناً فقرب ويتنهاي وقد كان محصولها السنة الماضية ١٠٠,٠٠٠ كيل. كذلك للَّاحات كاروك ومالميري وبلومفونتين وبورت اليزبت وبرادسدروب وكمبرلي وبيكتبرغ شأن في استخراج الملح وملحها من اجود انواع الملح النقي

١١ الفحم الحشبي والبلمباجين

بوشر من مدَّة بتعدين منجم من هذا الصنف في جبال اينجالي في ناتال واما سمك طبقة هذا المدن فتربو على ٥٠ قدماً وقد اكتُشفت ايضاً مستودعات اخرى من هذا المدن كما في جنوبي افريقية ويرجو العارفون نجاحاً عظيماً ومستقبلاً باهراً من وراء هذا الصنف ويستعمل اكثرهُ لطلاء الآكات صيانة لها من احتكاكها المتواصل وصوناً لها من التحطيم

هذه اخصّ المعادن التي في بلاد الترنسفال. وهناك عناصر اخرى ثمينة لا يسعنا وصفها ونكتفي هنا بالاشارة اليها تتمة للفائدة. فمنها الاثمد (antimoine) يوجد

منهُ كميّات وافرة فيُرى تارةً منفردًا كما في مقاطعة دي كلب وتارةً مختلطاً امّا بالذهب ومنهُ معدن في جبـال مورشـدن · وامّا بالفضة ومعدنهُ في جبال زوطبنبرغ (Zoutpanberg) وفي تلك الجبال ايضاً معدن الميكا (mica)

ومنها معدن الطلق (asbeste) وهو معدن لا تعمل فيهِ النار · وقد اكتشفوا منهُ عدَّة معادن في بلاد اورنج والترنسفال · اشهرها معدن واطربرغ (Waterberg) وكلها تعدَّن بالنجاح · وفي سنة ١٩٠٦ وجدوا منهُ منجماً غنيًّا شرقي مدينة كارولينا · ويباع الطنّ منهُ بنحو عشرين جنيهاً

ومنها الكبريت فانَّ منهُ مستودعات كثيرة اشهرها معادن تولي (Tuli)

ومما وقف الجيولوجيون على حقيقتهِ وفرة الازيات المعدنية في جنوبي افريقيـة · وسيُصبح لها شأن كبير بلا محالة · وقد باشروا منذ بضع سنين استخراج زيت البترول وتشكلت لذلك عدَّة شركات ربحت ارباحاً طائلة باستثمارها

امَّا مقالع الحجارة فمنها اشكال شتى في انحاء البلاد كالحجارة الكلسيَّة والحجر السَّاقيّ وانواع الرخام والصلصال الفاخر الذي يصطنعون منهُ الآنية الخزفية والكاولين الذي يصلح لعمل الآنية الصينيَّة

ومما يستحقُّ الذكر ايضاً المياه المعدنيَّة التي تنبع في جهات افريقيـة الجنوبيَّة ويعرف الاهلون خواصها فيستحسنونها وحتى الآن لم يشع ذكرهـا بين اطباء اوربا وهي تجاري بنافعها الحمامات الشهيرة

وفي جنوبيّ افريقية ذلك السرقين الذي يُعـدّ من افخر اجناس السَّماد اعني بهِ الكوانو (guano) الذي سُمّي بذلك لكثرتهِ في جزيرة كوانو على شطوط مستعمرة الكاب وهو زبل الطيور ينفع الزراعة نفعاً عظيماً والمزارعون يقبلون عليهِ ايّ اقبال · وقد استُخرج منهُ سنة ١٩٠١ ٢٧٧٣ طنًّا ويبع الطنّ الواحد بست ليرات

وكذلك توفقوا الى اكتشاف النترات او ملح البارود في جبـال دوورنبرغ (Doorn-Berge) وفي ماشونالند وفي جبال كاريكاري وتعدينهُ لا يستوجب عناء كبيرًا وارباحهُ كثيرة فانَّ كل طنّ منهُ يباعُ بثمانية عشر جنيهاً

وزد على ما تقدَّم معادن اخرى لم يُعدَّن منها حتى اليوم الَّا النزر القليل كالشبّ والالومينيوم والزرنيخ والبسموث وسولفات الباريوم والمغنيسيا والمنكانيز والنيكل

والبلاتين والعناصر المشعّة كالاورانيوم وكثير من الحجارة الكريمة كالياقوت والزمرّد واللازورد والعقيق واليشب وغير ذلك

هذا ما رأينا تسطيره بعد العناء الطويل افادةً لابناء الوطن الاعزّاء وغاية ما نرغب ان تدبَّ فيهم الغيرة والحميَّة لاستخراج ما تحتويهِ بلادنا الشامية من المعادن او على الاقل رجاء ان يضاعفوا الهمم في تحسين زراعة بلادنا وهي الثروة الثابتة التي تُغني البلاد وتشمل بالمنافع عموماً وهي بذلك تفوق ثروة المعادن التي لا ينتفع منها الّا بعض الافراد واصحاب الشركات الماليَّة . وفقنا الله الى ما بهِ الخير والنفع وهو السميع المجيب

الزراعة في العراق

بقلم يوسف رزق الله غنيمة البغدادي

من الامور المقرَّرة التي لا يشوبها ريب البتَّة ولا يختلف فيها اثنان هو ان توسيع نطاق غنى البلاد وازدياد ثروة الاوطان قائم بترقية الزراعة وتقدُّم الصناعة وامتداد التجارة. وللزراعة المقام الاول بين غيرها من جواذب الذهب ومسهّلات التقدم والعمران فيها تكثر الارزاق وتتوفر اسباب الراحة والهناء. فتجري الانهار لبناً وتفيض عسلاً وتعطي الاراضي الغلّات الوافرة فيجني الناس الخيرات والبركات ويحصد الزارع ثمرة اتعابه ويشبع الاهلون حامدين شاكرين وما زاد عن حاجاتهم من حاصلات زراعتهم يصدّرونهُ الى غيرها من البلاد فتعوّض بالاصفر الرنّان والابيض الفتّان وعلى هذا المبدأ يجوز ان يقال ان الزراعة كنز لا يعرف النفاد وبحر زاخر لا ينضب ماء غنائهِ والأمة التي تسكن اخصب ارض هي عندي من الامم الراتعة في بحبوحة الرغد والطمأنينة وان شاءت لامكنها ان تجري شوطاً بعيداً في الاتقة

ان العراق قد دخل اليوم في طورٍ جديد نظراً الى اهميـة مركزهِ اذ انَّ مسألة القطار الحديدي البغدادي قد نبَّهت الافكار لدرس مستقبلهِ السعيد ووجهت الخواطر والانظار الى استطلاع دواعي ثروتهِ الزراعيَّة فكتبت النبذ الكثيرة في المجلّات والصحف

الّا ان اغلبها لا تشفي العليل ولا تروي الغليل لانها أُخذت نقلًا عن القال والقيل وليس الخبر كالعيان اما هذه الاسطر فقد كُتبت بعد الوقوف على اهم المصادر القديمة والحديثة العربيّة والاوربيّة وتطبيقها على الحالة الحاضرة . وقبل الخوض في البحث لا لرى بـدًا من تحديد العراق وما يُراد بهذا اللفظ . وقد ذهب مؤلفو العرب مـذاهب شتى في تحديده . قـال بعضهم : العراق الطور والجزيرة والعبر واوصلهُ غيرهم الى البحرين . امّا المدائني فارتأى انهُ يمتد من هيت الى الصين ويشمل السند والهند والريّ وخراسان وسجستان وطبرستان الى الديلم والجبال وقال غيرهم : العراق اولهُ شرقي دجلة والعلث على حد طسوج بُزُرْجـأبور وهي قرية تناوح حربى موقوفة على العلويّة وفي غربي دجلة حربى ثم يمتدّ الى آخر اعمال البصرة من جزيرة عبادان وكانت تعرف سابقًا بيسان . والعراق هو السـواد ايضاً . كل هذه الحدود وغيرها لا تفي اليوم بالمرغوب في هذا البحث الزراعي فرايت الاجدر بان اقتصر في هذه المقالة على ولايتين من ولايات الممالك المحروسة العثمانية وهما ولاية بغداد والبصرة وما تحتويان من السناجق والاقضية والنواحي وعليه فيحد العراق شمالًا ولاية الموصل وجنوبًا خليج فارس وجنوبًا غربًا الصحراء الشاميـة وشرقًا العجم وغربًا متصرفية دير الزور ومساحة هاتين الولايتين تبلغ نحو ٢٧٠,٠٠٠ كيلومتر مربع

وقد عرفت هذه البقعة منذ القرون المتناهية في القدم وازهر فيها اول تمـدُّنٍ اي التمدن البابلي وقد ذهب قدماء المؤرخين الى ان فيـها خُبِزَ اول خبزٍ . وبيروسس الكاهن الكلداني يطرى، اطراء لا مزيد عليه صلاحية هذه الارجاء لزراعة الحبوب ووافقه على رأيه جمهور العلماء المتأخرين وفي سنة ١٨٠٧ عثر الرحالة اوليفيه (Olivier) في مسيل غير صالح للزراعة على حنطة وشعير قد نبتا عفوًا اي دون زراعة كما اوجدتهما الطبيعة في طورهما الاول وقد عثر بعدهُ غير واحد من العلماء على مثل هـذه الحبوب فلعمر الحق ان هذا لشاهد ساطع على خصب السـواد . ولم تصر مركزًا ومحطًّا لرحال الاقوام والامم المختلفة الّا لما خصتها الطبيعة باوفى نصيب من جودة المناخ وخصب الارضين وريها وقد حكم الجغرافيّ الشهير روكلو (El Reclus) بهـذه المسئلة بفكر صائب اذ قال : ليس من ارض وافق فيـها هيئة ارضها حظوظ اهلها من جهة السـعادة والبؤس مثل هذه البقعة فان هذه بالحقيقة قد ظهرت هناك ظهور الشمس في

رابعة النهار اه . اي نعم لولا خصب هذه البلاد وريها لكانت صحراء قفرًا جرداء لا يسكنها بشرٌ ولا يحلُّ بها شعبٌ من الشعوب وكما ان سبب حياة مصر هو النيل كذلك العراق فان سبب حياته هو دجلة والفرات . ولكن اين خصب مصر من خصب وطننا فشتَّان ما بين الثريا والثرى فحدّث من ريهِ ولا حرج ويوافقني على قولي هذا السيَّاح القدماء وكتبة العرب والزرَّاعون الذين وطئوا هذه البلاد لا بل الاراضي واطلالها شاهدٌ ناطق على ذلك . ورد في رحلة هيرودوت (١ : ع١٩٢) الكلام الآتي: وتنمي عند (البابليين) الزروع جدًّا حتى لا تضاهيها ارضٌ مخصبة بكل اقطار العالم فان الحبوب تعطي مائتي ضعف وعند الاقبال تعطي اكثر من ثلثمائة ضعف . . . وورق الشعير بعرض اربع اصابع اما الذرة والسمسم فلا اذكر عظم خصبهما ونمو جذوعهما لانني اعلم يقينًا ان كل من لا يعرف تلك الاقطار لا يصدقني ولذلك ضربت صفحًا عن ذكرها . وجاء في معجم البلدان : العراق اعدل ارض الله هواء واصحها مزاجًا وماء اه . وكان الفرس يسمون العراق دل ايرانشهر ويشبهونهُ بالقلب وسائر الدنيا بالبدن وسمَّى العرب العراق سوادًا لانهم لما اقبلوا اليهِ ورأوا من بعيد اراضيهِ مغشاة بالزروع والنخيل كانهُ بقعة سوداء لقَّبوه بالسواد . وجاء في مادة فلوجة : قرية من قرى بغداد وهي الارض المصلحة للزرع وكذلك اسم الانبار اي الاهراء فانهُ يدل على خصب الارض هناك . فهذه كلها وغيرها من الادلة والشواهد على خصب العراق ليست بشيء بازاء ما نشاهدهُ عيانًا من خصب الارضين رغمًا عن جهل الفلاح العراقي واتخاذهُ الادوات السقيمة من النمط العريق في القدم واستعماله الطرائق الزراعية التي يُرقى استنباطها الى الالوف من السنين وهذا ما اذهل المهندس الزراعي الشهير المستر ولكوكس بعد ان درس العراق الزراعي درسًا جديًّا

ان الغنى الزراعي يتأتى من حسن التربة والري والمناخ وكيفية تدبير الفلاح هذه الامور واتخاذهُ الوسائط الفعَّالة لتحسين الزراعة وقصدي ان اتكلَّم عنها كلها في هذه العجالة راجيًا غض النظر عن الزلل واصلاح موقع الخلل والعفو من شيم الكرام

— تربة العراق — نظرًا لموقع العراق الجغرافي فان طولهُ شرقي باريس من ٣٨ ْ،٤٠ ْ الى ٤٦ ْ،٣٠ ْ وعرضهُ من ٣٥ ْ،٥ ْ الى ٣٠ ْ وارضهُ مكونة جيولوجيا من تراكم طماء النهرين دجلة والفرات المتصل ولهذا تراها سهلة لا جبل فيها ولا ارتفاع يذكر الاَّ جبل

حمرين الذي يمتد في مركز سنجق بغداد من الشمال الغربي الى الشمال الشرقي ثم يدخل في ولاية بغداد وعرضهُ نحو ٥ كيلومترات فقط . هذا وان اغلب اراضي العراق صالحة للزرع وهي ذات خصوبة وريع يضرب بهما المثل لان تربتها جيدة وغنية بالمواد الكيماوية لتغذية النبات وتقسم على النسبة الآتية تقريباً

٤/١٠ اراض صلصالية رملية وهي جميع مزارع القمح والذرة والسمسم والحدائق والبساتين

٣/١٠ اراض طَرّوية نسبة الى الطرا (humus) وهي البطائح ومزارع الارز ومنابت السوس وغيرها

١/١٠ اراض رملية نقية

١/١٠ اراض صلصالية نقيّة من هذه الاراضي تتخذ مقالع الصلصال لعمل الآجر

١/١٠ اراض صخريّة وهي اطراف [illegible] والشرقية اذ تكثر مقالع الجص والكلس والغضار

هذا نظر عام وتقسيم تخميني في اراضي العراق يظهر منهُ بنوع كافٍ مواد تربتها ولها في فيض النهرين دجلة والفرات اعظم نصيب من تجديد قوتها وتعويض المواد التي تفتقدها كل سنة بتغذية النبات والمزروعات فالنهران في ابان الفيض يخرجان معهما من السواحل والضفاف جذوع الاشجار ونفاية المزدرعات وجثث الحيوانات وفضلات اوساخ المدن واقذار القرى ثم تمر مياههما على اراض معدنية متوفرة المواد الكيماويّة من الازوت والحامض الفسفوري والحديد والبوطاس والحامض الكبريتي وغيرها فتحمل منها للاراضي احسن هبة وتكسوها بالغرَيل وقد وهم المسيو مالت برون (Malti Brun) صاحب كتاب الجغرافية اذ انكر على دجلة والفرات الطمي . فان مياههما تكون في زمن الغيض صافية لكن في ابان الفيض تتكدر اعتكاراً كلياً حتى تباين للناظر بلون يضرب الى الحمرة . والفيض موسمهُ الربيع من منتصف شباط الى اواخر ايار فتطفح المياه على الاراضي وترويها وتغشيها بغشاوة يختلف ثخنها حسب اختلاف الاراضي وتتراوح بين الـ ١٠ س الى ٥٠ س والفيض اذا كان معتدلاً يفيد فائدة عظيمة ولكن قد يتجاوز حد الاعتدال ويهدم الاسداد ويغرق المزدرعات فتصبح تلك النعمة

نقمة على الزراعة العراقيّة وذلك منذ عهد البابليين الى يومنا هـذا . وفي الفيض نظرٌ آخر وهو ان الغِرْيَل الذي تحمله المياه معها تتراكم عند فوهة الانهر وفي داخلها فتطمرها وعلى هذا الوجه اندرست الانهر التي احتفرها البابليون واليونان والفرس والمسلمون وطمست محاسنها بعد ان كانت تحمل الى البراري المقفرة مياه دجلة والفرات وترويها

— مناخ العراق — انهُ ملائم جداً لاغلب الاصناف النباتية لاسيما الفصائل التي تنبت في البلاد المعتدلة والحارة وجانب من نباتات البلاد الباردة ايضاً . فميزان الحرارة يهبط في قلب الشتاء الى ٦° تحت الصفر وهذا البرد لا يدوم الّا اياماً قلائل تعد على الاصابع وربّما لا يحدث في كل عام. اما في رمضاء الحار فيصعد الى ٤٠° من القياس المئوي الّا ان ميزان الاعتدال يتراوح بين ٢٥ درجة و ٣٠ درجة والهواء نقي وجافٌ في اغلب النواحي الّا انهُ في مدينة البصرة وضواحيها وفي بعض المستنقعات يكثر سقوط الندى والطل ليلاً. والمطر يبتدئ بالسقوط في اوائل تشرين الثاني وينتهي في منتصف أيار غير انهُ في اغلب السنوات لا تكون كميته كافية لسقي المزدرعات التي تبعد عن الانهر. ففي سنة ١٩٠٣ سقط ٣,٧ انش وسنة ١٩٠٤ — ٤,٩٦ وفي ١٩٠٥—٣,١٩ وفي ١٩٠٧ — ٤,٦٥ . وهذا القياس مأخوذ عن دفتر القنصلية الانكليزيّة في بغداد . ولا اعلم كيف ذهب هيرودوت الى انَّ في بلاد آشور لا تمطر السماء ابداً فالظاهر انهُ زار هذه الاقطار في الصيف اذ لا اثر للمطر عندنا

— ري العراق — انّ ماء دجلة والفرات هو اعظم سبب لري العراق والقائم بديمومة خصبه والباعث الى غلّته لا بل هو علّة ازدهاره وكينونة حياته. يخرج نهر دجلة قرب معادن سوان واهم مصدر لهُ هولوچ گول ثم يجتمع اليهِ نهر آخر يدعى عين دجلة على مسيرة يومين ونصف من آمد (اي ديار بكر). وفي مسيره تارةً يقترب من الفرات وطوراً يبتعد عنهُ وعند ما يمرّ بديار بكر تصب فيهِ مياه دجلة الشرقية ثم الزاب الاكبر والزاب الاصغر ودجلة يدخل في حدود ولاية بغداد ١٥ كيلومتراً في شمالي تكريت ويجري من الشمال الغربي الى الجنوب الشرقي فيمرّ بدورا وسامرا ثم على تسع كيلومترات وانت منحدر من بغداد يصب فيهِ نهر ديالة ثم يمرّ بالمدائن وكوت الامارة والعمارة فالقرنة وهناك يمازج الفرات . ودجلة منذ دخوله في خطة العراق حتى اجتماعه بالفرات يقطع نحو ٦٣٠ كيلومتراً

أمّا الفرات فمخرجه من قرب مصدر دجلة عند معادن سولن كما سبق القول عنه قبيل هذا. ثم يصب فيهِ قسمٌ من مياه بحيرة صغيرة كوليجك وتنحدر فيهِ الامطار والثلمات التي تقوم شاخصة على ضفتيه وينضم اليهِ نهر مراد وقبل ان يغادر الارجاء الجبلية تصب فيهِ بعض الانهر التي تجتمع في قمة الخطة العظيمة التي يحطها في غربي سلسلة طورس ومن هذه الانهر: الطوكمه صو ويصبّ فيهِ في اعالي جبل طورس الساجور ونهر البلخ قرب اورفا والخابور الذي يرد من طور عبدين والفرات يدخل الخطة العراقية في غربي بغداد نحو ٤٠ كيلو متراً في غربي عانه فيمرّ بالحديثة وبغداديّة وهيت والفلوجة والسيب والحلّة والديوانية والملوم والناصريّة وسوق الشيوخ وقرنة ومن اول مروره بديار العراق حتى القرنة يقطع نحو ٦٦٥ كيلومتراً امّا شط العرب فطوله نحو ١٥٠ كيلو متراً

ثم ان دجلة والفرات لم يزالا يغيّران سيرهما تارةً في جهةٍ وطوراً في غيرها وذلك امّا من تلقاء ذاتهما واغلب ما يكون في ابان الفيض وامّا طوعاً لاشغال البشر كالاعمال التي باشر بها نيقوطور وقورش والاسكندر الكبير لا بل هيرودوت يخبرنا بان نيتوكريس ملكة بابل احتفرت ترعاً في اعالي بابل وبواسطتها تحوّل نهر الفرات الذي كان يدفع مياهه فيها على خطٍّ مستقيم وصار جريه ملتوياً بحيث انهُ اضحى يمرّ ثلاثاً بقرية اردريكة . وجاء في معجم البلدان في مادة شهرباذان: الفرات تحوّل عنها فاضمحلت مزدرعاتها وخربت. ودجلة ايضاً قد غيَّر مجراه مرّات كثيرة نقرأ في مادة جوخا في ذلك الكتاب نفسه... لم يكن في بغداد مثل كورة جوخا كان خراجها ثمانين الف الف درهم حتى صرفت دجلة عنها فخربت ومنعاً لمثل هذه الامور كانت قد بنت الملكة سميراميس في عهدها سدّاً عظيماً على نهر الفرات. ولو اردت الاطالة في هذا الصدد لخرجت عن موضوعي الزراعي ولكن اكتفي بهذا الوشل القليل لان نفس هذا التغيير يشاهد الى يومنا هذا

ان الامم المختلفة والاجيال المتعددة التي توالت العراقَ منذ العهد العهيد والزمن القديم الى عصرنا الحاضر قد اعتنت في امر الري والسقي على درجات متفاوتة من الاتقان والترتيب على تفاوت حضارتها واختلاف مدنيتها وكل طور من اطوار الممالك المندرسة قد خلف لنا بعض الآثار التي تنبئ باهتمام تلك المملكة بالري وسقي

المزدرعات . هذه مملكة الكلدان المنقرضة فان ملوكها قد اعتنوا بكري الانهر (كذا ندعو الجداول والقني التي احتفرتها ايدي البشر طبقاً لما سنّتها العرب في العراق وكانوا ولا يزالون يدعون دجلة والفرات الشطّ بمعنى النهر الكبير) فان حمورابي الملك البعيد الصيت (١٦٦٥ — ١٧١٠ ق م) كرى انهراً كثيرة ومنها نهر حمورابي وغيره وفرّق مياهها على شُعب ثانويّة وجعلها تسقي اراضي بوراً فحولتها الى غياض فيحاء وجنّات غنّاء . . . وكان جلّ اهتمام هذا الملك احتفار الانهر وشقّ الترع بحيث كان كتبة زمانه يؤرّخون كتاباتهم بتاريخ حفر نهر او شق ترعة وكذا قل من خلفه شمشو الونا (١٦١٠—١٦٤٥ ق م) فانهُ كرى نهراً كبيراً للسقي دعاه نكاب نحي ثم احتفر ايضاً اسورداتيل ورمان نيرار الثاني (٨٨٩—٩٣٠ ق م) انهراً كثيرة واصلحا الاسداد التي كان قد اتلفها الفيض

وبعد الكلدان جاء الفرس فادُّوا ايضاً الخدم المشكورة في الري فانهم احتفروا نهر وان او نهر كسرى الذي بهِ زهت الزراعة وبُنيت الضياع على جانبيه وكان مبتداه قرب حلوان وربَّما سمّاه السريان تامرا ايضاً وكان سبب خرابه على ما رواه ياقوت اشتغال الناس بالمحاربات في ايام السلاجقة

ومنها نهر زاور ونهر شيلي ونهر المرأة حفره اردشير الاصغر وفي ايامهم كان نهر سورا ونهر الملك الذي يُنسب احتفاره الى الاسكندر الكبير وكان موقعه بعد نهر عيسى وكان عليهِ ٣٥٠ قرية على عدد ايام السنة . ومن مياه العراق البطائح وهي مستنقعات او اراضٍ كان يغمرها الماء في اسفل العراق بين البصرة والكوفة وسببها ان دجلة انبثق في ايام قباذ فيروز بثقاً كبيراً بقرب كسكر فاغفل امره حتى غلب ماءهُ وغرّق كثيراً من الارضين العامرة كانت تليه وتقرب منهُ فلما وُلي انو شروان العادل امر بذلك الماء فرُدِم بالمسنيات حتى عاد بعض تلك الارضين العامرة . ثم خلفه ابنه ابرويز وفي ايامه زاد الفرات ورجعت الحالة على اولها . ولما نزل المسلمون السواد بذلوا الجد والجهد في انهاض الزراعة لا بل ادخلوها في عصرها الذهبي ففاقت ايامها الغابرة . وفي عهد عمر بن الخطاب حُفر نهر الابلة وكان مبتداه من نهر الأجانة والاجانة خور في دجلة العوراء سمّاهُ المسلمون بعد الجاهلية الجزارة ومن بعده حذا الخلفاء حذوه وكثرت تشعبات دجلة والفرات ومن بعضها : نهر معقل ونهر الاساورة ونهر عمرو ونهر ام حبيب

ونهر ام عيو ونهر طاحة ونهر حميدة ونهر بشّار ونهر العلا· ونهر الكحول ونهر الارحاء ونهر ابي الخصيب (وهو لا يزال معروفاً بهذا الاسم) ونهر ابي الاسد ونهر الدير· هذه كانت في اطراف البصرة وفي البصرة نفسها· ونهر ماري بين بغداد والنهاية وكان مخرجه من الفرات ونهر النيل في سواد الكوفة حفرهُ الحجاج بن يوسف وهو الذي حفر ايضاً نهر الصين والزابي· ونهر ذراع كان بالعراق· ونهر القاطول حفره الرشيد في سُرَّ من راى

وقد ورد في مقدمة تاريخ بغداد لابي بكر ابن الخطيب اسماء الانهار الموجودة في الزوراء في عهد المؤلف وذكرها ايضاً قبله ابن سرابيون واليعقوبي فنقتطف منهم الفوائد الآتية: من اهم انهار دار السلام نهرا عيسى والدجيل ومنهما يتشعب انهار ثانوية تتخرق المحال والدور فتسقي الارضين· وكان مأخذ نهر عيسى من الفرات ويمرّ بفروز شابور وهي الانبار وعلى ضفافه القرى والضياع وعند المحوّل كانت تتفرع منهُ الانهار التي تتسرب الى مدينة بغداد ثمَّ بقرية الياسرية والرومية وقنطرة الرمّان فيصب في دجلة اسفل قصر عيسى وآثار هذا النهر لا تزال ظاهرة الى يومنا وتعرف بالسعودي ويقال ان عدد الانهار التي كانت تتفرع منهُ بلغت نحو ٦٠٠ نذكر بعضها: نهر الصراة وكان يسقي ضياع بادوريا وبساتينها (ومنهُ يتفرع نهر خندق طاهر)· وكرخايا احتفره عيسى عمّ الخليفة جعفر المنصور في عهد تأسيس بغداد ومن كرخايا كان يتفرع انهار كثيرة تنبث في ضياع كانت على جانبيه منها نهر الدجاج ونهر الكبير ونهر قطيعة الكلاب ونهر طابق الخ· اما الدجيل فكان مأخذهُ من دجلة ويتفرع منهُ انهار كثيرة منها: نهر بطاطيا اوله كان في اسفل فوهة دجيل بستة فراسخ فيجيء الى بغداد فيمر على عبّارة قنطرة باب الانبار والى شارع الكبش فيتقطع ويتفرع منهُ انهار كثيرة تسقي الحربية وما صاقبها من الارضين ثم نهر بوطر ونهر بيل الخ

ولم يعتنِ العباسيون بحفر الانهار فقط للري بل كانوا يرقون المياه الى العلو بواسطة اعمال هندسية مائية ومن امثال ذلك ان عضد الدولة زرع لهُ بستاناً واراد ان يسقيه اولًا بالدواليب ولما علم ان تلك الوسيلة لا تفي بالمرغوب اتخذ مهندسي عصره فحصروا المياه على نسق هندسي فصارت تسقي البساتين بدون آلة· هذه لمحة وجيزة في اعتناء الشعوب القديمة في امر الري اقتصرت على ذكرها لضيق المكان لان اغلب الانهر

ان لم ارد ان اقول كلها قد عفت رسوم آثارها ودخلت في خبر كان وذلك لرسوب غرْيَل دجلة والفرات عند افواه الانهر واشتغال الناس بالمحاربات ولاسيما في عهد هولاكو والعجم

اما اليوم فاخذت الزراعة تتردّى بجلباب عزها وتتقدّم رويدًا رويدًا تحت ظل الدولة العليّة العثمانية. واليك اسماء الانهار التي تتشعب من الانهار الكبيرة كدجلة والفرات وديالة: من الفرات من جانبه الايسر نهر الكتمانية وعليه قرية الصقلاويّة ويصب في دجلة الى جنوبي بغداد ونهر الرضوانيّة مأخذهُ جنوبي فلوجة وينتهي عند مزار الست زبيدة ونهر المحموديّة ونهر اسكندر ونهر المسيب ونهر المحاويل من أيام هارون الرشيد. ونهر الشاه كُريَ في عهد الشاه عباس الكبير. ومن طريق اليسين نهر الحسين احتفرهُ السلطان سليمان الاول مدّة اقامته في بغداد سنة ٩٤٢هـ (١٥٤٤م) موقعهُ بين المسيب وكربلا في منتصف الطريق تقريباً. وبعدهُ نهر الهنديّة قيل ان احتفارهُ كان على يد احد الهنود الاغنياء. ونهر ابي نديم الخ ولولا خوفي من ان اورث الملل في نفس القراء لاتيت اسماء الانهار الموجودة على مسامعهم انهيال السيل لانَّ في سنجق الحلة وحده يعد اكثر من ستين نهرًا يأخذ من الفرات ويقطع تلك الاصقاع طولًا وعرضًا

ومن دجلة من الجانب الايسر يتفرع نهر التحويطة ومن الجانب الايمن نهر دجيل والسماكية ونهر مشري والاحيلة الذي مصدرهُ قرب العمارة. ونهر الداجه. ونهر الحي يخرج من دجلة قرب كوت الامارة ويمر بكوت الحي ويجتمع بنهر أم الجمال. ونهر أم الجمال من دجلة ايضاً في ٢٠ كيلومترًا من غربي الامارة ويجتمع بالفرات على ١٠ كيلومترات في شرقي سوق الشيوخ. ومن ديالة يخرج نهر دلتاوه والخالص ونهر بلدروز والهارونية ومهروت ونهر شروان وخريسان. ومن انهار العراق نهر النفط في مندلي (وهي بندنجين) ونهر الوند في خانقين ومأخذهما من جبال العجم. ونهر الكلال الذي يسقي بدرة وجصان. وفي البصرة انهر كثيرة تتشعب من شط العرب اخصها المهجران وحمدان ولوسمان والعشار والخورة والسراجي ونهر خوز وكتيبان ونهر جاسم الخ

هذا كلهُ ليس بشيء من جهة الخدم والمنافع الجمة التي تقدر ان تفيد انهار العراق لو بذل الاهاون الهمة في تصليح بعض الانهر القديمة كنهروان واصلاح الاسداد

وتخطيط انهر جديدة كثيرة لا سيا بين دجلة والفرات وانشاء مخازن لحفظ المياه عند الفيض فتتوزع على الارضين في وقت هبوط المياه وهذه واسطة ايضاً تحفظ الارضين من الغرق عند الفيض فان زراعة العراق تتحسن وتتقدم عشرين ضعفاً عما هي الآن وهذا كلام لا القيه على عواهنه بل يثبته واقع الحال. وكثيراً ما وقفت على دجلة آسفاً على الملايين من المترات المكعبة من المياه التي تنحدر بسرعة عجيبة وتصب في لجج البحر دون ان يُنتفع بها. فيا اسفاه على مياه دجلة والفرات العذبة التي تغنت بها الشعراء تذهب جزافاً وتختلط بمياه البحر المالحة !!

ان الارضين التي تزرع على ضفاف دجلة والفرات تكون غالباً عالية لا تصلها المياه عندما تكون في حدّ الاعتدال ولهذا اتخذ سكان بابل الآلات والادوات بأكراً لسقي المزارع وقد استعملت لسقي جنات بابل المعلقة احدى عجائب الدنيا السبع التي ابتناها نبوكد نصر وقد غُرست فيها الاشجار والاوراد النادرة وكان موقعها على رأي الموسيو اپرت (Oppert) في تل عمران اليوم. وقد وصف هذه الآلات الجغرافي استرابون وذكرها هيرودوت في رحلته ايضاً وهي آكدد. وما ادراكم ما آكدد ! آلة في غاية البساطة: يُرفع قائمتان على النهر يختلف علوهما بين المترين والثلاثة الامتار يجمع بينهما بخشبة معترضة ويركب على القائمتين بكرة من خشب التوت ويلقى عليها حبل وبالطرف الواحد من الحبل يشد راس الدلو واما الطرف الآخر من الحبل فيشد بحيوان. ثم تربط الدلو من اسفلها بقد من الاديم. فيمر القد من الاديم على بكرة صغيرة مركوزة على علو بضع سنتيمترات من الارض ويجتمع جانبه الآخر بالدابة ايضاً. والدابة يصعدها الرجل ويخطها في ميدان يُحفر في الارض يوازي بعد الماء عن الارض فاذا كان الرجل والدابة الى آخر الميدان صعدت الدلو ممتلئة ماء وصبت في حوض. والدواب المستعملة لهذه الغاية فهي البراذين (الكُدش) والثيران وكلّ دابة مع قائدها تشتغل اربع ساعات متوالية وهذا ما سموه بالمدة. ويعرف الفلّاح الوقت بالمزاول فاذا حان الوقت نادى رفيقه الذي تجيء نوبته وهو لا يغلط ابداً في الوقت ولتحقيق ذلك نظرت لهذه الغاية وضبطت الوقت في ساعتي فكان الوقت دائماً مدققاً

وفي البصرة يوجد طريقة اخرى لسقي الارضين وهي الاستقاء بالسلة او بالدلو

وهذا ما يُسمّى بالشادوف عند اهل مصر وبالمزقة عند قدماء العرب . ويلزم الفلّاح صبر القديس يوحنّا الصغير من سياح مصر لبلوغ اربهُ لان السلّة لا تستقي كل مرّة اكثر من لترين او ثلاثة لترات . وقد دخلت حديثاً النواعير الخشبيّة والحديديّة والمحركات التي تتحرّك بالبترول فبلغ عددها نحو ٤٠ محركاً وهي طريقة اقتصاديّة توفر مصاريف جمة الّا ان العائق عن انتشارها ارتفاع اسعارها فان اصحاب الاملاك اغلبهم ضعيفو الحال وليسوا من المثرين

ولاهل العراق واسطة يقدرون ان يستعينوا بها لسقي الارضين وهي ان تتألف بينهم شركة ويجلبون محركات متنقلة تركّب في السفن فتمر السفينة من محل الى محل آخر عندما يراد سقيه . وفي ابان الفيض العالي المصطلح عليهِ بالحيال في العراق يصل الماء الى جميع الاراضي بدون استثناء وذلك توًّا من النهر بواسطة انهر محفورة لهذه الغاية بدون عناء ولا تعب

ومن المزروعات السنويّة ما هو عذي وهو الزرع الذي لا يسقيه الّا المطر ونحن العراقيين نسمّيه بالديم . وهناك نوع آخر من الزرع لا يسقى ابدًا بل يستمد ماءهُ من ارض دخلها السيل مدة طويلة فترك هناك غريلًا يبقى رطبًا مدّة مديدة فيبذر زرعاً يوافق تلك الارض وينتفع بماء قليل كالسمسم والقرطمان والذرة ونحوها ويسمون هذا بالكبس ويلفظونهُ (الچبس) ويقولون الكباسيّ (الچباسي) وفي البصرة اذا صعد الماء عند المد دخل المزدرعات وغيطان النخل فسقاها واذا جزر نزل عنها بعد ان يكون قد افادها كل الفائدة

— ادوات الزراعة — اي محراث وادوات يستعملها الفلّاح العراقي لحرث الاراضي وقلبها وحصاد زرعهِ ودرسهِ ؟ هذا امرٌ سهل الجواب عليهِ لانحصار دائرتهِ وقلّة موادهِ وضعف عدتهِ . فان الادوات التي تتخذها ايدي الفلاحين العراقيين في غاية البساطة وبطيئة العمل جداً يرتقي تاريخ وجودها الى الفي سنة وهي اثر من الآثار التي تنبي باستمساك الشرقيين بعاداتهم القديمة وميلهم الى الالتصاق والتقيد بقيودها وان كانت تربطهم وتعيقهم عن الجري في مضمار التقدم والنزول في ميدان المسابقة

المحراث: خفيف الثقل بسيط التركيب مؤلف من خشب وقطعة حديد او ربما كان كلهُ من خشب يسحب على الارض بيد الانسان او يسحبهُ حيوان او حيوانان ويُجر

مرارًا كثيرة على الارض الواحدة حتى يتمكن من حرثها ولولا هشاشة التربة العراقيّة لما قوي عليها هذا الحراث ولكن اين بطائه من سرعة الاعمال التي تقضيها المحارث الحديثة الاختراع المتقنة الصنعة التي تتحرك بالبخار على النمط الجديد

دوس الحنطة : لذلك ثلاث طرائق الاولى ان تُهرس بالهراس وهو خشبة تضرب بها الحنطة فيفصل الحب عن السنبل . والثانية ان تكوَّم كومًا وفي نصفها يركز مرجاس و بالمرجاس تربط بغلة فتسحق الحنطة برجلها وبعده تذرّى الحنطة بالهواء بمذراة من خشب فيسقط القش بجانب والحب على البيدر ألا انَّ ارقى هذه الوسائط وارتبها نوعًا وهو المعوَّل عليه اليوم في العراق هي دوسها بالجرجر والجرجر اشهر من ان يوصف ويسمّى في لغة الافرنج (Rouleau à dépiquage) فتشاهد صورتهُ في معاجمهم وهي تقوم مقام الوصف

المرّازة — وهي مؤلفة من دائرة باسنان رفيعة من خشب مغروسة براس عودة وبها حبل فيتقابل عليها شخصان الواحد بازاء الآخر فالواحد يدفعها في قلب الارض والثاني يسحبها بالحبل الى الامام وتستخدم هذه الآلة لحرث الاراضي الهشة

المسحاة . — لحفر الاراضي وقلع الاشجار وغرسها

المنجل — لقطف المزروعات وحصاد الحنطة والشعير وهذا معروف فلا يحتاج الى وصف واحد . اه

— الفلاحون — من هم الفلاحون العراقيون والزراعون وفي اي مدرسة درسوا ؟ هم من عشائر الاعراب . منبثون في اطراف العراق تلذُّ لهم العيشة المتجولة وسكناهم تحت الخيام المصنوعة من شعر المعزى وكل قبيلة لها شيخ معروف من الحكومة العثمانيّة ويتفاخرون بالغزوات ويتباهون باعمال الرجوليّة يقضون ايامهم في كرّ وفرّ وظعن متواصل فلا يقرّ لهم قرار ولهذا ترى القرى قليلة في العراق فلا يبلغ عددها الستين . ولا يخفى الاديب الاريب ان القرى هي التي تجهز المدن الرجال وتساعد على تقدم الزراعة تقدمًا عظيمًا فياليت اهل البدو كانوا يتعودن عيشة القرى ويستوطنون في مركز معلوم ويلهون نفوسهم بالزراعة ويتخذونها دأبهم وديدنهم فلو فعلوا لافادوا العراق بوجودهم اكبر فائدة ألا انهم في القرى ونواحي الولايات يسكنون في بيوت حقيرة من الطين ويجهلون القراءة والكتابة ومعلوماتهم الزراعية مقتصرة على الاختبارات المتطلبة

وما يتوارثهُ الخلف عن السلف ولم تعلّمهم بعد منافع الدروس الزراعيَّة القانونيَّة كما أنها لم تحدث ادنى تغيير في كيفية الزراعة العراقية

وقد جاء الى الزوراء بعض دارسي فن الزراعة مرتين او ثلاثًا ولكنهم لم ينجحوا في طرائقهم وذلك لاسباب نوردها لكي يطلع عليها من لهُ رغبة في درس هذا الفرع الجليل من الفنون ولا تثبط همتهُ. فالسبب الأول هو ان بعضهم كان من الحدثين في هذا الفرع ولم يحصل منهُ الّا المعلومات النزرة. والثاني لانهم ارادوا زراعة بعض الفصائل النباتية في هذه النواحي كما تزرع في غير جهات بغض النظر عن اختلاف الاقاليم والمناخ والتربة. والثالث لكونهم لم يطابقوا دروسهم على اختبارات الاهلين التي لها اعظم شأن في هذا المقام. وعندي ان ارض العراق في اطراف سامرّا والحلة وكوت الامارة والعمارة هي احسن موقع لانشاء المدارس الزراعيَّة اولًا لجودة التربة ثانيًا لرخص عيشة التلامذة هناك. ولو تبرع احد المتمولين واسس في وطننا مدرسة زراعيَّة في احدى النواحي التي ذكرناها سابقًا لافاد الزراعة العراقيَّة اعظم فائدة وخدم وطنهُ احسن خدمة. هذا فضلًا عن الارباح التي تعود عليهِ من مشروعه هذا. ولا يقتضي لذلك اكثر من ثلاثين الف ليرة لشراء اراضي الزراعة وبناء مدرسة ولوازم الدرس وادوات الزراعة فانا لمتأكد ان هذا المبلغ سيعطي فائدة ١٢ بالماية سنويًا فمن لا يرضى بهذه التجارة التي هي كلها صفقة ربح لهُ من وجهتين ماديَّة وادبيَّة ويكون اهلًا لشكر الاهلين

*

بعد ما سرّحنا النظر في ما مرَّ من المعلومات حسبما اقتضى المقام لنقولنَّ كلمة عن جباية العراق الزراعي سابقًا واليوم. كانت الدولة الساسانيــة تأخذ من حاصلات العراق ما يتسنّى لها من الرسوم مقاسمة ولا يجوز لاصحاب الامـلاك والمزروعات ان يتمتعوا باثمار اتعابهم قبل ان تؤخذ منهم الضرائب غير ان قبـاذ بن فيروز لم يستحسن هذا النمط بـل غيرهُ. وفي ايام كسرى انو شروان كانت الاكاسرة تضرب على العراق الضرائب كما يأتي: على كل جريب (عبارة عن ٣٦٠٠ ذراع مربع) قفيزًا ودرهمًا وهي عبارة عن ٢/١٢١ بالمائة ثم على الكرم ١٠ دراهم وعلى النخيل ٨ وعلى القصب ٦ وعلى الرطبة والشعير درهمين. وبقي السواد عامرًا الى انقراض الراشدين وفي عهد بني أميَّة كانت الاراضي تضرب بالضرائب وان بقيت بورًا بلا زرع

وقد ابطل المنصور هذه السنّة ولما ابنهُ المهدي ان يؤخذ نصف الغلة من الاراضي التي تسقى سيحاً بلا تعب. والثلث من الارض التي تسقى بالدوالي. والربع من الارض التي تسقى بالدواليب. اما اليوم فتؤخذ الرسوم الميرية حسب ملك الاراضي المزروعة وكيفية سقيها ونوع المزروعات. ولايضاح ذلك نقول ان اراضي العراق نظراً لملكيتها تقسم الى اراض ميرية وهي الراجعة الى الحكومة العثمانية ونسبتها الى جميع الاراضي المزروعة ١٠٠/٦٠ تقريباً واراض سنية وتقدر ١٠٠/٢٠ واراض وقفية وهي المحبوسة لاعمال البر وتبلغ ١٠٠/١٢ واراض للاهالي وتقدر ١٠٠/٨ . اما المزروعات فتقسم الى صيفية وشتوية فالصيفية تشتمل على الذرة والسمسم والعدس والماش الخ . والشتوية تشتمل على الحنطة والشعير الخ . اما نظراً للسقي فتقسم الى الاقسام التالية : البكرة وهي التي تسقى بالكرود والآلات المستحدثة. والديمي وهو الزرع الذي يسقى سيحاً بمياه المطر. والجيس وهو الذي يزرع على الغدران ومياه المطر. والنهري وهو الذي يسقى بالانهار التي تتشعب من دجلة والفرات

ان الاراضي الميرية والسنية والوقفية تعطي بالكراء ما لها من الحقوق لاحد الاهالي وهذا ما يصطلح عليه بالمقاطعة ولاجل استيفاء حقوق ملكية الارض او الرسوم من الاعشار والاخماس تعين فئة من اهل العرف والوجدان فتقدر كمية الحاصلات وعليه تؤخذ من اصحابها الرسوم والضرائب. اما البساتين التي تسقى بالانهر فتضرب بالخمس من حاصلاتها والبكرة بالعشر

(بعض فوائد زراعية) الرَّبد — هو ذراع يصطلح عليه اهل العراق وطوله بطول المسحاة

الفدّان — قطعة من الارض يزرع فيها ٥٠٠ اقة حنطة او ٧٠٠ اقة شعير

الجريب — ارض فيها مئة نخلة

هذا وان سمحت لي الظروف والفرص سأشفع هذه المقالة بنبذة عن الفصائل النباتيّة في العراق وتكون تتمة لهذه الاسطر. ان شاء الله

تاريخ دمشق لابن القلانسي

نظر الاب لويس شيخو اليسوعي

في سنتنا السادسة (المشرق ٦:٦٦٤ و٦٤١) ذكرنا ترجمة احد جهابذة كتبة العرب اعني ابا الحسن هلال الصابئ وعدّدنا هناك تآليفهُ البديعة لاسيا تاريخ الوزراء الذي توفّق المستشرق الانكليزي العلّامة هـ. ف. اميدروس (H. F. Amedroz) الى اكتشاف قسم كبير منهُ نشرهُ قبل خمسة اعوام في مطبعتنا فبينا ما لهذا الكتاب من المحاسن العديدة والخواص الفريدة لفظًا ومعنًى

وقد ذكرنا هناك لهلال الصابئ تاريخًا آخر جعلهُ كاتبهُ الفاضل كملحق لتاريخ خالهِ ابي الحسن ثابت بن سنان بن قرّة. وكان ابن قرّة كتب تاريخًا وصف فيهِ الوقائع التي جرت في زمانهِ من السنة ٢٩٥ الى وفاتهِ ٣٦٣ (٩٠٧–٩٩٣) فذيّلهُ هلال بتاريخ آخر واضاف اليهِ حوادث السنين التابعة الى اواخر سنة ٤٤٧. والتاريخان كلاهما ضائع الّا ما حظي المسيو اميدروس باكتشافهِ من تاريخ هلال وهو وصف حوادث اربع سنوات من ٣٨٩هـ الى ٣٩٣ فألحقهُ بتاريخ الوزراء الذي ذكرناهُ آنفًا وهو عبارة عن ١١٦ صفحة مشحونة بالفوائد

ولتاريخ هلال المذكور ذيلٌ ثانٍ أقدم على كتابتهِ احد أدباء دمشق في القرن السادس للهجرة يُعرف بابن القلانسي وهو تأليف جليل عرفهُ قدماء المؤرخين العرب فاشاروا اليهِ ونقلوا عنهُ الّا ان نسخهُ قد طمسها الدهر فاضحت اعزّ من بيض الانوق. وحتّى اليوم لم يعرف منها ارباب البحث سوى نسخة وحيدة تُصان في خزانة المخطوطات الشرقيّة في مكتبة اكسفرد المعروفة بالبدليّة وهي موسومة بالعدد ١٢٥ (Bodl. Hunt. 125) وهي نسخة قديمة تاريخ كتابتها سنة ٦٢٩هـ (١٢٣٢م) يبلغ عدد صفحاتها ١٨٨ وفي كل صفحة ٣٢ سطرًا. فهي النسخة التي تعمّد نشرها العلّامة اميدروس وقد انجزها آخرًا في مطبعتنا الكاثوليكية. ولمّا كان هذا الاثر من اجلّ الذخائر التاريخيّة احببنا ان نشفع بوصفهِ لبيان خطرهِ وعلوّ مقامهِ فنذكر اوّلًا صاحب

التاريخ ثم ننتقل الى وصف الكتاب ومضامينه الشائقة . وفي كلامنا نعوّل خصوصاً على ما اثبتهُ جناب المتولي لطبع هذا التأليف وقد كفى بمقدمته مؤونة التفتيش الممل واغنانا عن المطالعات الشاقة حفظهُ الله وجملهُ سندًا للآداب

١ مؤلف التاريخ

لا نعرف الّا الشيء اليسير عن ابن القلانسي فممّن عرّضوا بذكره ابو عبد الله محمّد بن احمد الذهبي في كتابه تاريخ الاسلام قال في تاريخ ٥٥٥ ما حرفهُ مستندًا الى تاريخ دمشق لابن عساكر (ص ٢٠٣ من نسخة اكسفرد):

حمزة بن اسد بن عليّ بن محمّد ابو يعلى التميميّ الدمشقيّ العميد ابن القلانسيّ الكاتب حدّث عن سهل بن بشر وحامد بن يوسف التفليسيّ . قال الحافظ ابن عساكر: سمع منهُ بعض اصحابنا ولم اسمع منهُ . (قال) وكان اديبًا كاتبًا تولّى رئاسة دمشق مرّتين . وكان يُكتَب لهُ في سماعهِ ابو العلاء المسلم بن القلانسيّ . فذكر انهُ هو وانهُ كذلك كان يسمّى وقد صنّف تاريخًا للحوادث من بعد سنة اربعين واربعمائة الى حين وفاتهِ . وقرأتُ من شعرهِ:

يا نفسِ لا تجزعي من شدّةٍ عرضتْ وأَيقني من الهِ الخلقِ بالفرَجِ
كم شدّةٍ عرضت ثم انجلت ومضتْ من بعد تأثيرها بالمال والمُهَجِ

توفي في ربيع الاول . قلتُ وروى عنهُ ابن مصري ومكرم بن ابي صقر وجماعة وجمع بين كتابة الانشاء وكتابة الحساب وحُمدت ولايتهُ وتوفي في عشر التسعين

وذكرهُ ايضاً جمال الدين ابو المحاسن يوسف الشهير بابن تغري بردي في كتابهِ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة قال (ص ١٤٠ من نسخة لندن):

يُعرف بابن القلانسيّ كان فاضلًا اديبًا مترسّلًا جمع تاريخ دمشق وسمّاهُ الذيل وذكر في اوّلهِ طُرَفًا من اخبار المصريين وبعض حوادث السنين وقد نقلنا عنهُ نبذةً في هذا الكتاب وكانت وفاتهُ بدمشق في يوم الجمعة سابع شهر ربيع الاوّل ودفن يوم السبت بقاسيون . فمن شعرهِ في الصبر:

اياكَ تقنطُ عند كلّ شديدةٍ فشدائدُ الايامِ سوفَ تهونُ
وانظرْ اوائل كلّ امرٍ حادثٍ ابدًا فما هو كائنٌ سيكونُ

هذا غاية ما وجدهُ العلّامة اميدروس من احوال الكاتب . ومنهُ يُتخذ انّ ابن القلانسيّ كان دمشقيّ الاصل ومن وجوه وطنهِ حيث تولّى رئاسة دمشق مرّتين

وناهيك بهذه الرتبة شرفاً ورفعة ويظهر انّ اسرتهُ كانت من بيوتات الفيحاء. وقد ذكرها الذهبيّ في جملة العيال الكريمة الساكنة دمشق في رأس القرن الثامن عند قدوم التتر. وممّا يدلُّ على علوّ مقام المؤلف المحدّثون الذين اخذ عنهم والذين رووا عنهُ وكلهم من الرجال المعدودين. وكذلك شهرتهُ بصفة كاتب ومؤرخ قد نوّه بها الكاتبان السابق ذكرهما كما انهما اشارا الى جودة شعرهِ بما رويا له من الابيات. وابن القلانسي عُمّر طويلاً اذ جعل الحافظ الذهبي وفاتهُ في « عشر التسعين » وذلك في ٧ من ربيع الاوّل من السنة ٥٥٥ الموافقة لاوائل نيسان ١١٦٠ م. وقاسيون الذي فيهِ دُفن ابن القلانسي هو الجبل المشرف على دمشق فيهِ قبور كثيرين من مشاهير تلك الحاضرة

٢ تعريف الكتاب

سبق القول بانّ هذا الكتاب دُعي بذيل تاريخ دمشق لانّ صاحبهُ روى الاخبار التي جرت من سنة وفاة هلال الصابئ ٤٤٨ الى سنة ٥٥٥ التي فيها توفي ابن القلانسي. على انّ النسخة المحفوظة في اكسفرد تُجدي العلماء نفعاً آخر وذلك انّها تحوي خلاصة تاريخ هلال الصابي من السنة ٣٦٣ الى ٤٤٨ وقد قلنا انّ هذا التأليف اخذتهُ يد الضياع فسدّت هذه الخلاصة خللاً كبيرًا وهي مع اختصارها تحتوي على تفاصيل عديدة لا تقلّ عن ٨٦ صفحة من صفحات مجلّة المشرق وحرفها وانما سقط فقط من اوّلها ثلاثة اوراق فيها المقدمة وبعض اخبار السنة ٣٦٣ وقد اعتاضنا من ذلك جناب الناشر بنشر هذا الكتاب بما وجدهُ من كلام الصابي في كتاب مرآة الزمان لسبط بن الجوزي حيث ذكر مفتتح تاريخ الصابي ونقل عنهُ ذكرهُ للقرامطة ودخولهم الى دمشق فكاد يتمّ بذلك ملخص تاريخ الصابي.

وليس من غايتنا ان نتّسع هنا في ذكر هذه الخلاصة الهلاليّة وهي توافق ما نعرفهُ للصابي من حسن السبك وانسجام الكلام وسياق الرواية وفصاحة الالفاظ دون تعقّد ولا تصنّع شأن الكتبة البلغاء. وتراهُ لا يسرد الاخبار على طريقة واحدة كما يفعل غيرهُ من اصحاب التاريخ بل يذكر الامور بتعريف اسبابها والتفنّن في ايضاح ظروفها وبيان نتائجها بحيث لا ينتهي القارئ من قراءة فصل الّا وقد عرف الامر الموصوف حق معرفتهِ دون اجهاد فكرهِ واعنات ذهنهِ

وقد زاد جناب الفاضل اميدروس على طبع هذا القسم فوائد اخرى جمة بما نقله عن ابن الازرقي الفارقي ومن سبط ابن الجوزي والحافظ الذهبي مما يؤيد اقوال الهلال الصابي او هو منقول عنه بالحرف او ملخص تلخيصاً وقد نشر تلك الاضافات في ذيل الكتاب بحرف ناعم

ومن اجود ما يحويه هذا القسم شرح اخبار الدولة الفاطمية منذ دخول المعز لدين الله الى أيام الظاهر لاعزاز الله . وهناك تفاصيل عديدة في امور الشام ومصر واحوال اهلها وتقليد نوابها وعمالها لا تكاد تجدها في غير هذا الكتاب . ومع ان ابن القلانسي قد اختصر كتاب هلال قد احسن في انتقاء الروايات وتدوين الاخبار بذوق سليم ونظر صائب . ولولا ضيق المكان لنقلنا من هذا القسم فصولاً تطلع القراء على عظم شأن تاريخ الصابي وفوائده الجمة ودقائقه اللذة كذكره للرجال وتعريفه لقبائل العرب الشامية ووصفه لامكنة لم يسبق لغيره ذكرها من ضواحي الشام ككفارا ويبرود ومعلولا والتينة وصيدنايا والمرة وتلفيتا وكذكره ابنية دمشق واسماء احيائها وابنيتها وبعض كنائس النصارى التي كانت في ذلك العهد . ومما ورد من ذلك وصف كنيسة القيامة في بيت المقدس وتعظيم النصارى لها قبل حرقها سنة ٣٩٨ (١٠٠٨) قال:

هذه بيعة تقرب من المسجد الاقصى تعظمها النصارى افضل تعظيم تحج اليها عند فصحهم من كل البلاد وربما صار اليها ملوك الروم وكبراء البطارقة متنكرين ويحملون اليها الاموال الجمة والثياب والستور والفروش ويصوغون لها القناديل والصلبان والاواني من الذهب والفضة وقد اجتمع فيها من ذلك عن قديم الزمان وحديثه الشيء العظيم قدرها المختلفة اصنافه فاذا حضروا يوم الفصح فيها واظهروا مطارحهم ونصبوا صلبانهم واقاموا صلواتهم ونواميسهم فهذا الذي يدخل في عقولهم ويوقع الشبهة في قلوبهم ويعلقون القناديل في بيت المذبح ويحتالون في ايصال النار اليها بدهن البلسان وآلته ومن طبيعته حدوث النار فيه مع دهن الزئبق وله ضياء ساطع وازهار لامع يحتالون بحيلة يعملونها بين كل قنديل وما يليه حديداً ممدوداً كهيئة الخيط متصلاً من واحد الى الآخر ويطلونه بدهن البلسان طلياً يخفونه من الابصار حتى يسري الخيط الى جميع القناديل فاذا صلوا وحان وقت النزول فتح باب المذبح وعندهم ان مهد عيسى عليه السلام فيه وانه عرج به الى السماء منه ودخلوا واشعلوا الشموع الكثيرة واجتمع في البيت من انفاس الخلق الكثير ما يحمي منه الموضع ويتوصل بعض القوام الى ان يقرب النار من الخيط فيعلق به ويتنقل بين القناديل من واحد الى واحد ويشعل الكل ويقدره من يشاهد ذلك ان النار قد نزلت من السماء فاشعلت تلك القناديل

فلننتقلْ الآن الى القسم الثاني الذي هو من انشاء ابن القلانسيّ وقد لحم روايتهُ برواية هلال الصابئ حتى جعلهما كرواية واحدة الّا انهُ نبَّه على ذلك باشارة لطيفة حيث قال في وصف ولاية الامير المؤيد حيدرة ابن مفلح قال (ص ٨٥):

تسلَّم الولاية في سنة ٤٦٢ بأمرٍ فيها وبنهي على عادة الولاة واستقامت لهُ امور الولاية على ما يؤثرهُ ويهواه واحسن السيرة في العسكريَّة والرعية فحُمدت طريقتهُ وارتُضيت اياتهُ واستمرّت عليهِ الايام في الولاية الى سنة ٤٦٨ التي بُني هذا الذيل عليها وعادت سياقة الحوادث منها

واوَّل ما يجب التنبيه اليهِ انَّ هذا الذيل يُدعى بذيل تاريخ دمشق مع انَّ هلال الصابئ لم يخصّ تاريخهُ بدمشق واتَّسع في الاخبار عن الدول الاسلامية في زمانهِ الّا انَّ ابن القلانسي كما يظهر لم يختر من تاريخ الصابئ سوى الامور التي تنوط بالشام ولاسيما بحاضرتها الفيحاء والجهات المجاورة لها ولذلك دعا بذيلهِ ذيل تاريخ دمشق. الّا انَّ هذا الاسم على طريقة التغليب ايضاً لان ابن القلانسي في هذا التاريخ قد اورد اموراً عديدة جرت في مصر والجزيرة والعراق وفارس لكنَّهُ يتَّسع في حوادث الشام وخصوصاً دمشق اكثر من سواها

وممَّا يستحق الذكر في شأن هذا التاريخ انَّ ابن القلانسي لم يجتهد فقط في مواصلة اخبار الصابئ بل جرى ايضاً على طريقتهِ في تنسيق الروايات وشرح الاحوال. وأعجب من ذلك احتذاؤهُ بانشاء الهلال الصابئ حتى ان الذي يقرأ القسمين ويقابل بينهما في اسلوب الكتابة يظنهما لكاتب واحد سواء كان في ايضاح المعاني وبلاغتها او في طريقة التعبير وسلاسة الانشاء. كانَّ الكاتبين نشأا من نبعة واحدة. فكأنَّ ابن القلانسي استحسن كتابة سلفهِ فتصيَّرهُ وصارا كالفرقدين للمتأمل

وما خلا ذلك ترى بين الكاتبين شبهاً آخر وهو انهما يتَّسعان في الاخبار ويزيدان في تفاصيل الشروح على قدر تقرُّب الحوادث من عهدهما فانَّ ابن القلانسي كهلال الصابئ عاشا زمناً طويلاً فهذا اربى على الثمانين وذاك بلغ التسعين فعاين كلاهما ردماً من الدهر الامور التي جرت في ايامهِ وتقصّى اخبارها وافاض في شرحها على خلاف الحوادث التي سبقت زمان كل كاتب. الّا انَّ في ذلك فضلاً للصابئ فانهُ كان كثير

الاطلاع من أسرة عُرفت بآدابها فنشأ على علوم اجداده. ويدلّ على تقدّمه التآليف العجيبة التي سردنا اسماءها في المشرق (٦: ٤٦٨) اما ابن القلانسي فأننا لا نعرف له غير هذا الكتاب المعنون بذيل تاريخ دمشق

وما قلناهُ عن تشابه المؤرخين في الصفات والكتابة يصدق ايضاً في صحة الروايات والتحرّي في شرح الاحداث ولذلك ترى الكتبة الذين عاشوا بعدهما يجبون الاستشهاد بهما ويثقون بروايتهما كل الثقة كسبط بن الجوزي السابق ذكرهُ وابي شامة صاحب كتاب الروضتين في اخبار الدولتين وكحافظ الذهبي. وربما نقلوا عنهما دون التصريح باسمهما كما فعل ابن الاثير فانهُ اثبت في تاريخه الكامل قطعاً مختلفة عن ابن القلانسي ولم يذكرهُ باسمهِ الّا مرّة في ذكره اتّخ قبور الآباء ابراهيم واسحاق ويعقوب في مدينة الخليل

اما مضامين تاريخ ابن القلانسي فهي تشمل اخبار الدول التي ملكت في مصر والشام والجزيرة في القرن الخامس والسادس للهجرة كالدولة الفاطميّة والدولة الزنكيّة والدولة الايوبيّة . فقد وصف المؤلف احسن وصف الملوك الذين ضبطوا زمام الامر في تلك المدة كزنكي وخصوصاً نور الدين محمود ابنهُ مع ما جرى على يدهِ من الفتوحات وقد أتبع في ذكر اعمال امراء دمشق وعمّالهم معرّفاً بكل واحد منهم مبيّناً ما تولوه من المآثر وقاموا بهِ من المشروعات في أيام امرتهم . وهو مع ذلك يتبع على قدر طاقتهِ سياق السنين وما حدث فيها في نواحي الشرق من حروب وفتوحات ووفيات المشاهير الى غير ذلك من الوقائع التي يرتاح الادباء الى معرفتها

ومن الحوادث التي ابسط المؤلف في شرحها الظواهر الجويّة والزلازل فانّها تكرّرت في ذلك الزمان وخربت بسببها البلاد وارتعبت لاهوالها قلوب العباد فمن ذلك ما حكاهُ في تاريخ سنة ٥٤٧ قال (ص ٣١٨)

وفي ليلة الثلثاء الثاني والعشرين من المحرّم من اواخر نيسان ارسل الله تعالى غيثاً هطّالاً مجلّلاً بالرعود والبروق المتتابعة ما زادت منهُ مياه بَرَدَى زيادةً وافرةً وتصندل لون مائها بسايل الاودية والجبال وانتفعت بهِ زراعات السقي والبعول نفعاً ظاهراً

وفي النصف من شهر ايار من صفر سنة ٥٤٧ كان من زمجرة الرعود وتتابع البروق والامطار في عدّة جهات ما زادت بهِ الانهار وسالت منهُ شعاب الجبال والاودية . وفي وقت العصر من يوم الاحد الثاني والعشرين من ايار والعشرين من صفر من السنة نشأت غمامة برعود مجلجلة هائلة

متابعة لا تفتر مُزعجة ثم اخلت بوابل هطّال جودٍ بالمطر الى اخر النهار ثم اقبلت يَرَدى بالليل بالسيل الزائد المتغير اللون بماء الجبال المختلف بحيث اقتحمت الانهار والسواقي والمجاري واحمرّت اماكنها وصادفت طرحات الزرع والكُداسة فتبرت الشعير وصفّرته وسكنت بقدرة الله ونُفع من نشأها ثم حضر من شاهد هذا العارض وحكى انهُ كان من البرد الكبار ما حدّثهُ بحيث افسد من المواشي الكثير وهدم بعض دور الغوطة وصار الماء في الحقول راكدًا وسائمًا بالانهار المندفقة وحكى الحاكي ان هذا لم يُر مثلهُ في الازمان

وفي السنة ذاتها حدث ما اخبر به (ص ٣٢٤)

وحدث في هذه الايام من تتابع الامطار في الاماكن والثلوج في الجبال والاعمال البقاعية ما لم يُرَ مثلهُ ثم ذاب الثلج وسالت بمائهِ الاودية والشعاب وساح على الارض كالسيل الجارف وامتلأت به الانهار والتقت الشطط وافسد ما مرَّ به من الاراضي المنخفضة ووصل المدّ الى بردى وما قرُب منها ورأى من كثرته وعظمه وتغير لونهُ ما كثر التعجب منهُ والاستعظام لهُ فسبحان مالك الملك منزل الغيث من بعد القنوط انهُ على كل شيء قدير

وقال في وصفهِ تغير الماء والهواء (ص ٣١٩) :

وفي العشر الاول من شوال من السنة (٥٤٢) الموافق للعشر الاول من تشرين الثاني تغير الماء والهواء في دمشق وعرض لاهلها الحمّى والسُعال بحيث عمّ الخاص والعام والشيوخ والشباب والاطفال بحيث وقع الزحام على حوانيت العطّارين لتحصيل الملي . وحكى الحاكي ان بعض العطارين احصى ما باعهُ في يوم فكان ثلاثمائة وثمانين صفة والسالم منهُ والعاق الاكثر وما يقيم هذا المرض بالانسان اكثر من الاسبوع ودونهُ ويمضي من قضى اجلهُ وضعف امر المتلين والمقاربين واحتيج اليوم لكثرة الموتى

ولهُ في الزلازل اشياء كثيرة منها قالهُ في صفة الزلازل التي وقعت سنة ٥٥١ ما نصهُ (ص ٣٣٤)

شرح الزلازل الحادثة في هذه السنة المباركة وما يليها

في ليلة الخميس التاسع من شعبان سنة ٥٥٥ الموافق لليوم السابع والعشرين من ايلول في الساعة الثانية منها وافت زلزلة عظيمة رجفت بها الارض ثلاث او اربع مرّات ثم سكنت بقدرة من حركها وسكّنها سبحانهُ وتعالى من مليك قادر قاهر ثم وافى بعد ذلك ليلة الاربعاء الثاني وعشرين من شعبان المذكور زلزلة وجاءت قبلها وبعدها مثلها في النهار وفي الليل ثم جاء بعد ذلك ثلث دونهُ بحيث أُحصينَ ست مرّات وفي ليلة السبت الخامس وعشرين من الشهر المذكور جاءت زلزلة ارتاع الناس منها في اول النهار وآخرهُ ثم سكنت بقدرة محركها سبحانهُ وتعالى

وتواصلت الاخبار من ناحية حلب وحماة بانهدام مواضع كثيرة وانهدام برج من ابراج الافامية

بهذه الزلازل الهائلة (١ وذكر ان الذي احصى عدّدهُ منها تقدير الاربعين على ما حكي والله تعالى اعلم . وما عرف مثل ذلك في السنين الماضية والاعصر الخالية وفي يوم الاربعاء السابع وعشرين من الشهر بعينه (شعبان) وافت زلزلة تتلو ما تقدّم ذكرهُ آخر النهار وجاءت في الليل ثانية في آخره ثم وافى في يوم الاثنين اوّل شهر رمضان من السنة زلزلة مروّعة للقلوب وعاودت ثانية وثالثة ثم وافى بعد ذلك في يوم الثلثاء ثانيهُ ثلث زلازل احداهنّ في اوّله هائلة والثانية والثالثة دون الاولى واخرى في وقت الظهر مشاكلة لهنّ ووافى بعد ذلك اخرى هائلة ايقظت النيام وروّعت القلوب انتصاف الليل فسبحان القادر على ذلك ثم وافى بعد ذلك في الساعة التاسعة من ليلة الجمعة النصف من شهر رمضان من السنة زلزلة عظيمة هائلة اعظم ممّا سبق ولما كان عند الصباح من الليلة المذكورة وافت اخرى دونها وتلا ما تقدّم في ليلة السبت اولها وجاءت اخرى آخرها ثم تلا ذلك في يوم الاثنين زلزلة هائلة وتلا ذلك في ليلة الجمعة الثالث والعشرين من شهر رمضان في الثلث الاوّل منها زلزلة عظيمة مزعجة وفي غداة يوم الاحد ثاني شوال من السنة تالي ما تقدّم ذكرهُ وافت زلزلة اعظم ممّا تقدّم روّعت الناس وازعجتهم وفي يوم الخميس سابع شوال المذكور وافت زلزلة هائلة في وقت صلاة الغداة وفي يوم الاحد الثالث عشر منهُ وافت زلزلة هائلة في وقت صلاة الغداة وفي يوم الاثنين تلوهِ وافت زلزلة اخرى مثلها ثم اخرى بعدها دونها ثم ثالثة ثم رابعة . . .

واخطر من ذلك ما رواهُ عن الصليبيين وزحفاتهم من السنة ٤٩٦ الى السنة ٥٥٠ (١١٠٣—١١٥٥) فوصف احوالهم في خروجهم من بلادهم ومسيرهم الى القسطنطينية فايقونية فانطاكية فسواحل الشام حتى بلغوا القدس الشريف ودخلوهُ واحتلّوا غيرهُ من البلاد. ولمّا كانت هذه الاوصاف عن شاهد عياني زاد شأنها ولذلك سوف ينظم تاريخ ابن القلانسيّ في جملة مؤرخي الحروب الصليبيّة الذي طُبع منهُ عدّة مجلّدات منها ثلاثة مجلدات من مؤرخي العرب (Recueil des Historiens des Croisades, *Historiens Orientaux*) وكنّا وددنا ان نثبت هنا شيئاً من تلك الاخبار لولا ضيق المكان

ونختم هذه الامثلة وكلامنا عن ابن القلانسي بتكرار شكرنا لجناب المستشرق الفاضل اميدروس على احيائهِ هذا الاثر المدفون ويستحقّ شكرًا مضاعفًا على ما اضافهُ اليهِ من المحسنات بالتذييلات المفيدة والفهارس الواسعة لأعلام الرجال والامكنة هذا فضلًا عن مقدّمات جليلة في الانكليزيّة شرح فيها لمواطنيه كل ما ينوط بهذا التأليف ومحتوياتهِ صفحةً صفحةً . فجازاهُ الله كل خير

١) وفي الاصل : المباركة

مطبوعات شرقية جديدة

D. C. **HESSELING. Essai sur la civilisation byzantine.** Traduct. française avec préface par **G. Schlumberger**. *Paris, Alph. Picard*, 1907, VII-381 pp., in-16.

التمدُّن البوزنطي

هذا الكتاب قد ألّفهُ صاحبهُ السيو هسلنغ احد اساتذة ليدن باللغة الهولنديَّة ونظمهُ في مجموع تآليف اخرى متشابهة بعنوانهُ « اجدادنا العقليُّون . ابحاث في تاريخ تمدُّننا » فما كان لاصحاب هذا المجموع ان ينسوا التمدُّن البوزنطي . والحقّ يُقال انَّ مصنّف الكتاب قد قام بعملهِ احسن قيام فاودع كتابهُ كل ما من شأنهِ ان يُعرّف اجمالًا حالة التمدُّن وتاريخهُ في أيام ملوك الروم فترى في هذا التأليف نظرًا عموميًّا يوضح خواصّ التمدُّن البوزنطي على طريقة منظَّمة واضحة . واذا ابدى المؤلف حكمهُ في الامور اصاب الهدف دون تطرُّف ومبالغة . وكثيرًا ما يستشهد باقوال قدماء الكتبة وشواهدهُ كلها مفيدة مع ما في بعضها من الطول . ومن ثمَّ قد احسن العلّامة شلومبرجر وهو من المولعين بالدروس البوزنطية اذ نقل هذا الكتاب الى اللغة الافرنسيَّة ليضيفهُ الى التآليف المتعدّدة التي كتبها العلماء الفرنسويُّون في هذا الصدد وفائدتهُ للعموم اكثر منها للخاصّة لأنَّ القرَّاء يجدون في صفحاتهِ القليلة ما لا يستطيعون جمعهُ من تآليف متعدّدة . وهذا الكتاب يفيد الشرقيين افادة عظيمة اذ يوقفهم على اصول التمدُّن البوزنطي الذي شمل مواطنهم واثَّر في كل صنائعهم وفنونهم   س . ر

REALENCYKLOPADIE 3 HERZOG - HAUCK. XX Bnd : Toorenenbergen - Wamwas. 1908. *Hinrichs.*

دائرة العلوم البروتستانية

قد كاد ينجز هذا العمل العظيم الذي ذكرنا مرارًا وصف اقسامهِ السابقة وهذا الجلد هو العشرون من المجموع وهو يحتوي كالمجلدات الماضية بل اكثر منها عددًا دوَّا من تراجم الكتبة لا سيّما البروتستانت . وفي هذه التراجم من الفوائد التاريخيَّة

ما لا يخفى . ومن المواد التي استحسنّاها فصل واسع خصّهُ العلّامة غوته (Guthe) لوصف بلاد الصفا المعروفة بتراكونيتيس (TRACHONITIS) ثمَّ فصل آخر للعلّامة پروشن (Preuschen) في تعريف والتنان احد الهراطقة الادريين وكذلك نثني على بعض مقالات كتابيَّة اثريَّة من قلم الاساتذة اورلّي وكوتش (Kautsch) وتساينفوند (Tsehnpfund). وعمّا قريب ان شاء الله تنتهي هذه الدائرة بصدور القسم الحادي والعشرين. ورجاؤنا ان يُلحق بها اصحابها الزيادات والاصلاحات التي اشرنا اليها نحن في مقالتنا السابقة او نوَّه بها الكتبة الذين انتقدوا على اقسامها المفردة س . ر

P. C. SCHMIDT. S. V. D: **Les sons du langage et leur représentation dans un alphabet linguistique général.** Traduit en fançais par le Dr P. J. Hermes O. M. I (Tirage à part do l'ANTHROPOS.) pp. 126 in - 4°. *Salzbourg* 1907.

اصوات النطق وتمثيلها بكتابة عمومية

قد وضع هذا الكتاب حضرة الاب شميد مدير المجلّة الاجتماعيَّة المعنونة بالانسان (Anthropos) وغايتهُ من وضعهِ ان يحدّد علمياً قوانين الاصوات البشريَّة العموميَّة ليتمكن بها اصحاب الاسفار والرّحل كما المرسلون ان يدوّنوا بكل تدقيق على طريقة موافقة لتلك الاصول كل اصوات لغات الشعوب الذين يحلُّون بينهم . وقد صدَّر ذلك بمقدّمة مسهبة بحث فيها عن الطرائق التي اتخذها العلماء الى يومنا لتمثيل تلك اللهجات المختلفة فبيَّن انها والعلم الصحيح على طرفي نقيض . ثم الحق ذلك بأسلوب جديد ابتدعهُ وفقاً للقوانين العموميَّة التي اجمع العلماء على صحّتها وقد جعل هذا الاسلوب قريب المنال وعلى غاية ما امكن من البساطة ليستطيع المسافرون والمرسلون في كل اقطار العالم ان يجروا على مقتضاهُ . وقد فحصنا هذه الطريقة المستحدثة لرسم اصوات اللغات فتحققنا ان لصاحبها معارف عجيبة واسعة في هذا العلم الجديد الذي لم ينتبه اليهِ العلماء قبل القرن المنصرم . ولعلَّ بعض القرّاء يجدون في جدولهِ (المثبت في الصفحات ١٢٣—١٢٦ من كتابهِ) صعوبة لكثرة الرسوم الاصطلاحيَّة التي اتخذها الّا انَّ ذلك من الضرورات اذ يشمل كما قلنا اصوات جميع اللغات المعروفة في المعمور واذا اراد الكاتب ان يسير بموجبها كفاهُ لكل لغة قسم صغير منها . ومع اقرارنا بفضل هذه الطريقة كنّا وددنا لو وافق بين كل حرف من حروفهِ الاصطلاحيَّة وحروف اللغات الشائعة كالافرنسية

والالمانيّة والانكليزيّة والايطاليّة واليونانيّة الحديثة والعربية لانّ مثل هذه المقابلة تصوّر في مخيّلة القارئ الاصوات المجهولة وتقرّبها الى سمعهِ . وعلى كل حال أننا نثني على همّة حضرة الاب شميد ونتمنّى ان يروج كتابهُ بين كل المتجوّلين في البلاد الغربيّة ولا سيما المرسلين ليتخذوه كدستور عمومي لتمثيل اللغات التي يسمعونها ويفيدوا حضرة المؤلف ما يرونهُ مخلًّا في طريقتهِ ليصلحها فتشيع قريبًا بين كل العلماء.

الاب بولس جوون

LES GRANDS HOMMES DE L'EGLISE AU XIX[e] SIÈCLE: LE P. DE RAVIGNAN, par **G. Ledos**, 1908. pp. 174. *Paris. Librairie des SS. Pères.*

ترجمة الاب دي راڤنيان

الاب دي راڤنيان يسوعيٌّ شهير اضحى في اواسط القرن المنصرم مع بعض كبار الرجال قُطب الكثلكة وسندها في باريس . ولما تشكّلت جمعيةٌ كاثوليكية لنشر تراجم مشاهير القرن التاسع عشر ما كان اعضاؤها لينسوا ذلك الراهب المقدام الذي شرّف منبر الخطابة في اكبر كنائس باريس مع معاصرهِ لاكُردار الدومنيكي . اما مؤلف هذه الترجمة فهو كاتب بارع اشتهر بتراجم اخرى اقبل عليها القراء لتفنّنها وحسن انشائها وانسجام عبارتها كترجمة الاب لاكُردار السابق ذكرهُ وترجمة القديسة جرترود فضلًا عن كونهِ احد نظار المكتبة العمومية في باريس لا يفوتهُ شيء من مضامينها ومن ثمَّ لم يُقدم على كتابة هذه الترجمة الجديدة الّا بعد مراجعة كل ما كُتب عن الاب دي راڤنيان واطلاعه على كل تآليفهِ المطبوعة والمخطوطة . وقد تصفحنا هذا الكتاب بشوق ورغبة فرأينا كاتبهُ اشبه بمصوّر بارع رسم صورة صاحب الترجمة بامانةٍ ودقة في كل اطوار حياتهِ اوّلًا اذ كان في العالم كمحامي الدعاوى ثمَّ في الرهبنة كراهب بسيط ثم كمعلم وواعظ ومرشد وكاتب وقد مزج في كل اوصافهِ روايات شهية تزيد القارئ اعتبارًا لذلك الرجل العظيم وربَّما نقل اشياء من اقوالهِ وكتاباتهِ ورسائلهِ فجعلها في سياق اخبارهِ كالفصوص الثمينة في خواتمها . فنشكر المؤلف على هذا الاثر الجديد من قلمهِ السيّال ونثني على همّتهِ في وصف المترجم فانّهُ بتسطير اعمال احد مشاهير اليسوعيين

قد دافع عن الرهبانية اليسوعية برمّتها اذ لم يكن الاب دي راڤيفيان سوى ثمرة من تلك الدوحة الباسقة التي لا تزال تبهج كنيسة المسيح بثمارها الصالحة

الاب ف · تورنيز

ETUDES BIBLIQUES. - Coutumes au pays de Moab, par le **P. Antonin Jaussen,** des Frères Prêcheurs. *Paris, Libr. V. Lecoffre, J. Gabalda et Cie*, 1908, pp. XIII-440.

دروس كتابيّة – عادات قبائل العرب في بلاد موآب

قد اكثر الكتبة وارباب الاسفار من وصف احوال القبائل العربيّة الساكنة في انحاء فلسطين وشمالي جزيرة العرب الّا ان اوصافهم ناقصة في بعض الامور ومخطئة في غيرها فلذلك اراد حضرة الاب جوسن من الرهبانيّة الدومنيكية ان يعود الى هذا البحث فيتمّم ما يحتاج الى تصحيح ويكمل ما كان ناقصاً · ولادراك هذه الغاية لم يدّخر وسعاً وتجشّم الاتعاب وتردّد مراراً الى تلك القبائل وسكن بينها وعاش عيشتها الشظفة واطّلع على كلّ اسرار حياتها . وكان في اثناء ذلك يدوّن كل ملحوظاته ويلقي على ضيوفه الاسئلة ليوقفوه على جميع عاداتهم واحوالهم المختلفة · فكل تلك الملحوظات المفيدة لدرس حياة البادية قد جمعها واثبتها في هذا الكتاب ليقف عليها محبّو الاخبار وطلبة الاسفار المقدسة · وقد خصّ بدروسه بلاد موآب لقربها من مواطن بني اسرائيل قبل ان تمدّ اليها الخطوط الحديديّة وتفقد شيئاً من عوائدها الاصلية باختلاطها مع الاجانب · فكتابهُ اذاً كلهُ فوائد عدل المؤلف عن زخرف الكلام ليثبت كل ما نظر وسمع بسذاجة وتدقيق مفصّلاً لكل امور اهل البادية متحايداً عن كل تنسيق وتنظيم كالمرآة المصوّرة للرسوم دون زيادة او نقصان · ولذلك تزيد رغبة القارئ لهذه الصفحات الشائقة والروايات الصادقة · وان سمح لنا حضرة المؤلف ابدينا له بعض الملحوظات التي خطرت على بالنا عند قراءة كتابهِ النفيس · لم يفرق المؤلف بين تمثيل الياء المشدّدة والياء البسيطة الّا يصوّرهما على حد سواء بصورة i فلا يعلم القارئ ما المراد بلفظة Sâbieh مثلاً (ص٢٦٣) أيريد بها صابيّة او صابئة وقس عليه – وفي الصفحة ٢٧٢ قد قلبت اللفظة سهواً فكتبت «كة ميره» والصواب «ميركة» –والمطر الثرياوي الذي

ورد ذكرهُ (ص٣٢٣) هو نسبة الى الثرَيا كما قال حضرتهُ بعدئذٍ (ص٣٧٥–٣٧٦) فالاولى اذن ان تُترجم الى الفرنسويَّة هكذا La Pluie des Pléïades بدلًا من La Pluie abondante. ومما يحسن الاشارة اليه في الحاشية الثانية من الصفحة ٣٥٣ ان العامة في بلاد الشام يستعملون «قطش» بمعنى «قطع» لاسيا قطع الاعضاء فيقولون للاقطع «اقطش» وهلمَّ جرًّا — وقد زعم هناك ان bayader (بيادر) لفظة مفردة والصوب انها جمع لبيدر — وكذلك نظن ان لفظة «نمس» ص ٣٨٤ المضادة لسعد انَّما هي تليين لفظة «نحس» بالحاء.

الاب لويس رنزفال

JAC. VAN OINNEKER: Principes de Linguistique psychologique - Essai de synthèse. (Bibliothèque de philosophie expérimentale, t. IX) pp. 552, in - 8°, 1907. *Leipzig, Harrassowitz.*

الاصول اللغويَّة في نسبتها الى نواميس طبيعة النفس

هو كتاب فريد في بابهِ غريب في معناهُ صنَّفهُ احد الآباء اليسوعيين الهولنديين بحث فيهِ عن مسئلة من ادقّ المسائل والطفها اعني عن النواميس الطبيعيَّة التي بموجبها وضع البشر لغاتهم سواء كان في تصريف الفاظها او في تركيب معانيها. وهو مبحث فلسفي يقتضي معرفة تامَّة لقوى الانسان العقلية ولاميالهِ النفسية وخواصهِ النطقية ثم يلجيء ايضاً صاحبهُ الى درس واسع لعدد وافر من لغات الامم. والاب فان او يناكر مؤلف الكتاب لم يتريَّث في كل ذلك بل أقبل بعض اتقان مبادىء الفلسفة الطبيعية على درس معظم اللغات الهندواوربية واضاف اليها الالمام باللغات الساميَّة ولغات الشرق الاقصى. فقابل اصول تلك اللغات على نواميس الطبيعة ولا سيا القوى النفسية التي دقَّق فيها المحدثون نظرهم وأطلعوا بعد الاختبارات الجمة على اسرارها المكنونة فاستخلص من هذه المعارضة اصولًا عمومية جعلها كمبادىء لهذا العلم الجديد الذي يفتح للعقل البشري مجالًا واسعاً لمعرفة طبائع البشر ويدلُّ العلماء على ما اودعهُ الخالق في قوَّة النطق من الخصائص العجيبة لتمثيل المعاني المكنونة في صدر الانسان. فمن هذا النظر العمومي يستطيع القرَّاء ان يعرفوا ما لصاحب هذا الكتاب من الفضل في نهجهِ تلك المجاهل واستخراجهِ تلك الدفائن التي لم يسبقهُ اليها الَّا بعض الافراد

وكان اكثرهم لشاروا اليها اشارة خفيفة فتوسَّع فيها حضرة الاب بنوع عجيب

الاب بولس جرون

SAINT AMBROISE. par **P. de Labriolle** Professeur de littérature latine à l'Université de Fribourg (Suisse). 1 vol. grand in-16 de la collection *Pensée chrétienne*. Prix: 3 fr. 50, *Bloud et C^ie*, éditeurs, *Paris*, VI.

القديس امبروسيوس

القديس امبروسيوس اسقف ميلانو احد آباء الكنيسة اللاتينية الذين رفعوا شأن الدين ونشروا لواء الفضيلة في بلاد الغرب فاستحقّ أن يُنظَم بين مشاهير الرجال الذين شرَّفوا الانسانية . فالسيو دي لابريول احد اساتذة كلية فريبورغ كتب هذه الترجمة ليوضح رتبة ذلك القديس وما احرز له من الفضل في خدمة الدنيا والدين وذلك من اربعة وجوه: الوجه الاول من حيث سياسته مع ملوك عصره فانهُ مدَّة نيّف وعشرين سنة خدم الملوك غراسيان ووالنتيان وثاودوسيوس الكبير فاضحى لهم اماماً ودليلاً ومرشدًا في اعمالهم الخطيرة . والوجه الثاني من حيث كان مفسرًا للكتب المقدسة كما تشهد له الكتابات التي بلغتنا . والوجه الثالث من حيث تعاليمهِ الأخلاقية التي بزَّ فيها بين اهل زمانهِ . واخيرًا من حيث عظاتهِ وتآليفهِ اللاهوتية . فقد فحص المؤلف كل هذه الوجوه وبيَّن ما للقديس امبروسيوس فيها من الفضل مستندًا الى اوثق المصادر وكثيرًا ما يلخّص كتابات القديس او يترجم منها نخبًا مستظرفة ليثبت بذلك ما قصد بيانهُ في كل باب من الابواب السابق ذكرها . وقد اضاف الى تلك الفصول فصلًا خصوصيًا في تعريف ليتورجية القديس امبروسيوس ونقل قسماً مما كتبهُ في الرتب الكنسية فجاء الكتاب وافيًا بالمرام متعدّد الفوائد والاوصاف

ر . ش

DAREMBERG - SAGLIO - POTTIER. Dictionnaire des Antiquités grecques et romaines, 41^e fascicule (RADIVS-SACRIFICIVM). *Paris*, *Hachette*, 1908.

الجزء الثاني والاربعون من معجم العاديَّات اليونانية والرومانية

هو المعجم العظيم الذي باشر بهِ بعض العلماء الفرنسويين منذ نحو عشر سنوات فضمَّنوهُ خلاصة المعارف البشريَّة في عاديَّات اليونان والرومان وقد سبق لنا وصف

اقسامه السابقة وبيان عظم خطره وفوائده الجمة . وهذا القسم الجديد يناهز ختام العمل اذ يحتوي المواد التي بها نهاية حرف R واول حرف S فلا يبقى كما ترى الّا الحروف الاخيرة واكثرها قليل الموادّ . ولو اردنا انتقاد هذا المعجم تفصيلًا لَما كفت المقالات المطوّلة وانّا نقول اجمالًا انّ هذا القسم كالاقسام المتقدّمة في حسن اختيار موادّه وتنظيمها وشرحها . وكل مقالة لاحد مشاهير العلماء الذي يغني اسمهُ عن الاطناب في معارفهِ . وبين المقالات التي راقت في عيننا الفصول التي عنوانها REGNUM, REX, ROMANORUM RESPUBLICA نقلًا عن كتابات احد ائمة العلوم القديمة المرحوم فوستل دي كولنج (Fustel de Coulanges) صاحب الكتاب الشهير المعنون بالمدينة القديمة (La Cité antique) ومنها مقالة العلّامة كومنت (Cumont) في سابازيوس (SABAZIOS) ومقالة العلّامة هيلد (Hild) في منشئي الدولة الرومانية رومولوس وريموس (ROMULUS et REMUS) ومقالة لوكريفان (Ch. Lécrivain) في الاثاث والقنيات (RES) ومقالة المسيو لوغران (Ch. E. Legrand) في الكهنة (SACERDOS) ومقالة بديعة للمسيو برتيار احد مديري هذا المعجم في الشباك (RETE et RHYTON) ومقالة المسيو توتان (Toutain) في الدين والرتب الدينية (RELIGIO et RITUS) واخيرًا مقالة المسيو دوريني (S. Dorigny) معنونة (RES RUSTICA) بحث فيها اوفى وادقّ بحث عن زراعة القدماء والفلاحة وكل ما ينوط بها

س . ر

P. THOMSEN: Systematische Bibliographie der Palaestina-Literatur. I Band. 1895-1904. *Leipzig. R. Haupt.* XVI - 203 pp., 8°.

قائمة التآليف الفلسفية

لَما أنشئت مجلّة الجمعية الالمانية الفلسطينية اخذ كتبتها على عاتقهم ان يدرجوا في اعدادها قائمة المطبوعات التي تبحث عن الآثار الفلسطينية فأدّت بذلك خدمًا مشكورة للعلماء اذ كانوا يجدون في صفحاتها جدولًا وافيًا لمنشورات الكتبة عن العلوم الفلسطينية وداومت على ذلك عدّة سنين حتّى السنة ١٨٩٤—١٨٩٥ فرأت ان تلك المطبوعات ووفرتها سواء كانت كتبًا او مقالات مفردة اتّسعت الى حدّ بالغ حتّى لم يكد

يفي بها الاحصاء وتشلها صفحات المجلّة فكففنا عن العمل وقد كان ذلك خسراناً عظيماً وخللاً في جانب الآداب كان يتمنّى ارباب البحث ان يُستدرك قريباً . وها ان الدكتور تومسن (D^r P. Thomsen) قد تلافى هذا النقص وألّف كتاباً مستقلاً اودعهُ قائمة المصنّفات الفلسطينية مباشرةً من السنة ١٨٩٤ الى السنة الحالية وقد أنجز القسم الاوّل منهُ وهو يتناول اسماء تلك التآليف حتى السنة ١٩٠٤ وليس هذا العمل بأمر سهل وانما قام بعبئهِ المؤلّف اذ هو من العلماء المعدودين . وقد راجع لتصنيفهِ ٣٥٠٠ كتاباً كُتبت في كل اللغات وكل البلاد فدوّن اسماءها ورتّبها على اقسام معلومة وابواب مختلفة تسهيلاً لارباب البحث وزاد على ذلك فهرساً مطوّلاً جملةً على ترتيب حروف المعجم . ولولا ضيق المكان كنّا عرضنا على المؤلف اصلاحات وزيادات على مصنفهِ الجليل ولعل غيرنا ينوب منّا في ذلك وعلى كل حال نشكر جنابهُ على تدوينهِ المقالات التي ادرجناها في المشرق عن فلسطين وشؤونها مثنياً على كتبتها وان شاء الله يتحفنا قريباً بالقسم الثاني

س . ر

MARIE DANS L'ÉGLISE ANTÉNICÉENNE par E. Neubert. Paris, V. Lecoffre et J. Gabalda, 1908, in-12, pp. XV-283.

مريم العذراء في الآثار الكنسيّة السابقة للمجمع النيقاوي

ان الكتبة الكنسيين الاولين قلّما تعرّضوا لذكر العذراء مريم اللهمّ الّا في معرض كلامهم عن ابنها الالهي كلّما شاءوا الدفاع عن طبيعتهِ الالهية والبشريّة في اقنومهِ الوحيد بازاء الهراطقة فكانوا اذ ذاك يصرّحون عن اعتقادهم بان مريم العذراء والدة الاله . فبياناً لذلك عمد حضرة الاب نوبرت الى تعريف تلك البدع وايضاح اقوال اصحابها ليستخلص منها معتقد الآباء الذين زيّفوا اقوالهم ونقضوا مزاعمهم لانّ الضدّ بالضدّ يظهر . فالكتاب اذن مفيد لدارسي اعمال الآباء واللاهوتيين معاً اذ يجدون فيهِ عدّة نصوص وشواهد بيّنة تؤيد المذهب الكاثوليكي في عظم رتبة البتول الطاهرة وامومتها الالهيّة . وممّا كنّا وددنا اتساع المؤلف في بيانهِ بحثهُ في اصل دستور الايمان المدعوّ بالروماني فانّ هذا الامر يقتضي لخطورهِ ايضاحاً اوسع . وكذلك وجدنا بعض التناقض بين قول المؤلف في الصفحة ١٠٣ حيث قال بان عقيدة بتوليّة العذراء في

ولادة المسيح سبقت عقيدة لاهوت الربّ و بين قوله في الصفحة ١١٨ وفيها يقول ان لاهوت المسيح علّل ايضاً شيوع عقيدة بتولة مريم . وقد الحق الاب تو يرت هذا القسم النظري من كتابه بقسم آخر تاريخي بيّن فيه عبادة المؤمنين الاولين للبتول الطاهرة وتعظيمهم لشخصها الكريم والتجاءهم الى شفاعتها فنقل كلّ ما وجدهُ من ذلك في تآليف الآباء والمصنفات غير القانونية والآثار والرتب الكنسيّة . نعم ان تلك الشواهد لو اعتُبرت مفردةً ليست مهمّة لكنها بوفرتها تثبت شيوع عبادة النصارى القدماء للسيدة . فنثني على هذا التأليف ونحضّ الشرقيين على النظر فيهِ لكثرة فوائدهِ وتحاشي صاحبهِ من كل جدال وخصام مكتفياً بكشف الحقيقة وتأييدها الاب ب . كَنتاكيس

البلغة

في شذور اللغة

وهي عشر مقالات لغويّة لائمّة كتبة العرب ظهر معظمها في مجلة المشرق وأُلحقت بفهارس

نشرها الدكتور اوغست هفنر والاب لويس شيخو اليسوعي

طُبع في المطبعة الكاثوليكيّة سنة ١٩٠٨ عدد صفحاته ١٨٠ يُباع بفرنكين

Dix anciens traités de Philologie arabe

منذ نُشرت المعاجم العربية كالصحاح والقاموس ولسان العرب أهمل الادباء غالباً تلك الوسائل اللغويّة التي كان ائمّة العرب الاقدمون صنّفوها مفردةً فاودعوا كلًّا منها الفاظاً في باب معلوم كالسلاح والانسان والابل وغير ذلك من المعاني الخاصّة . وانّما اضربوا عنها لصعوبة التفتيش فيها والوقوف على مظانّها . بيد انّ اللغويين الحدثين لمّا ارادوا البحث عن اصول اللغة وكيفيّة جمعها عادوا الى تلك الآثار النفيسة واستخرجوها من دفائنها ونشروها بالطبع وتبيّنوا المنافع الجمّة التي يمكن الحصول عليها بدرسها والتقاط فوائدها . وذلك ما حدا بنا ايضاً لن ندوّن في الشرق بعض تلك الآثار اللغويّة التي طلب الينا نشرها حضرة الدكتور اوغست هفنر نزيل كليتنا سابقاً او توفّقنا نحن الى اكتشافها في خزائن الكتب الشرقيّة وغيرها فما لبثنا ان وجدنا في مجي العربيّة

ارتياحاً الى مثل هذه المنشورات بل توسّلوا الينا بان نجمع تلك الرسائل في كتاب خاصّ ليقرب الانتفاع بها فاستصوبنا ملتمسهم وأعدنا طبع تلك الآثار بعد تصحيح ما وقع فيها من الاغلاط الطبعيّة وضبط حواشيها المدرجة في اذيالها. بل زدنا على كل رسالة فهارس لغويّة مرتبة على حروف المعجم . فجاء هذا المجموع واسع المادّة كامل الاهبة لا ينقصه شيء من المحسّنات الطبعيّة وهو يبتدئ بثلاثة كتب تُنسب الى الاصمعي اي كتاب الدارات ثمّ النبات والشجر ثمّ النخل والكرم ويليها كتاب المطر لابي زيد وكتاب الرّحل والمنزل لابن قتيبة او بالحري لابي عُبيد وكتابان في اللبإ واللبن لهما . ويُختم المجموع بثلاث رسائل اقرب الينا عهداً الاولى في المؤنّثات السماعيّة والثانية في الحروف العربيّة والاخيرة في شرح المثلثات القطربيّة شعراً. وقد قدّمنا على كل رسالة نبذة وجيزة لتعريف صاحبها ومضمونها والنسخ التي لستندنا اليها . ولمّا وافق ختام هذا المجموع افتتاح مؤتمر المستشرقين في عاصمة زوج سرّنا ان تقدّم لناديهم العلميّ هذه التحفة ولا شك انهم يقدّرونها قدرها لوفرة فوائدها وعلوّ مقام اصحابها الاقدمين ل . ش

الآداب العربية

في القرن التاسع عشر

للاب لويس شيخو اليسوعي . الجزء الاوّل من السنة ١٨٠٠ الى ١٨٧٠ مع ثلاثة فهارس طُبع في المطبعة الكاثوليكية ١٩٠٨ عدد صفحاته ١٢٦ . يُباع بفرنك ونصف

La Littérature arabe au XIXe siècle, 1re partie.

من عجيب امور اللغة العربيّة انك لا تجد حتى اليوم تاريخاً لآدابها مع وفرة كتبها وتعدّد مصنّفاتها في كل ابواب العلوم واتساع دائرة نفوذها الى حدود الهند والصين ومجاهل افريقة وسواحل اوربا وقد احسّ بهذا النقص فئة من المستشرقين الحدثين في فرنسة والمانية وانكلترة وروسيا وايطالية فارادوا نوعاً سدّ هذا الخلل ببعض التآليف التي اودعوها اوصاف العلوم العربيّة وتراجم اصحابها وقائمة كتبهم التي

صنفوها . على ان تلك التآليف مع فوائدها ليست سوى بواكير اعمال اوسع واكمل لا نزال اليها في حاجة ماسة فنتمنى ان تتألف فرقة من الادباء تقوم بهذا المشروع الجليل فتتبع آثار اللغة العربية في كل اطوارها مباشرةً بعهد الجاهلية وبين القبائل المتفرقة في انحاء الجزيرة ثمَّ تدوّن نشأة تلك اللغة وما طرأ عليها من الطوارئ في اوائل الاسلام وفي زمن الخلافتين الاموية والعباسية مع وصف الاسباب التي زادتها انتشارًا كفتح المدارس وانشاء المكاتب ونوادي العلوم وتنشيط الملوك . ثم تعرّف ائمة الكتبة والذين اشتهروا في كل زمن وكل بلد واختصوا بكل صنف من العلوم . وتذكر خمود تلك الآداب في القرون الاخيرة مبيّنةً عللها ومعاولاتها ثم تختم ذلك بفصل مطوَّل عن النهضة الادبية التي حدثت في القرن الاخير . فلا غروَ ان كتابًا مثل هذا يتهافت عليه الادباء ويتخذونهُ كدستور دروسهم واساس ابحاثهم . وذلك ما حدا بنا ان نكتب في المشرق فصولًا في الآداب العربية في القرن الاخير رجاء ان تمهّد الطريق لمن يتوخّى ذلك التاريخ الذي يتوق اليهِ المستشرقون . فلمَّا آنسنا في جمهور القرّاء اقبالًا على مطالعتها وطلبوا الينا جمعها في كتاب مستقلّ تسهيلًا لمراجعتها لبّينا الى ملتمسهم وطبعنا على حدة القسم الاوَّل الذي يتناول تاريخ الآداب العربية من غرّة القرن التاسع عشر الى السنة ١٨٧٠ وسوف نردفهُ قريبًا ان شاء الله بقسمهِ الثاني . هذا ونحن نعلم حق العلم انهُ فاتتنا اشياء كثيرة من احوال الآداب التي أردنا وصفها والادباء الذين قصدنا تعريفهم وما كنا لنجترئ على مباشرة هذا العمل لولا خوفنا بأن يتلف القليل ممَّا جمعناه عن آداب القرن المنصرم فتأخذه ايدي الضياع واملنا الوطيد بأن يتلافى غيرنا ما يجدونهُ في هذا المجموع من الخلل بابراز ما عندهم من الذخائر المصونة والكنوز المدفونة . وقد ختمنا هذا الجزء بفهارس المواد واعلام الادباء الشرقيين والمستشرقين الذين مرَّ ذكرهم في مطاوي الكتاب لتتم بها الفائدة وتزيد العائدة . ان شاء الله

ل . ش

شذرات

لغز مطلوب حلّهُ ❦ عرض علينا المسيو مسّنيون احد المستشرقين الفرنسويين الذي يهتمّ الآن بوضع كتاب في أبي مغيث الحلّاج ان ننشر في الشرق

لغزًا وقف عليه في ترجمة هذا الخارجيّ وهو لم يهتدِ الى حلّهِ لعلَّ احد القرّاء يهتدي اليه ولو يذكر اللفظة فقط بدون نظم ابيات وهو هذا:

يا غافلًا لجهالة عن شاني	هلّا عرفتَ حقيقتي وبياني
وعبارة فهْ ستّة احرف	من بينها حرفان معجومان
حرفان اصلي وآخر شكلهُ	في المُعجَم منسوبٌ الى ايمان
فاذا بدا راس الحروف امامها	حرف يقوم مقام حرف ثاني
ابصرتني بمكان موسى قائمًا	في النور فوق الطور حين تراني

خرافات بعض الملحدين اثبتنا في العدد السابق (ص ٥٦١) اقتراح الهلال على قرّائهِ بان يبيّنوا ضرورة الدين في الوجدان اذ لولاهُ يبتدع الانسان لهُ دينًا باطلًا. فذكرنا هذا الاقتراح بما كتبهُ احد ادباء عصرنا في هذا المعنى حيث قال: لا بُدَّ للانسان من دين صحيح او باطل فان نبذ الدين القويم رجح في عقلهِ الباطل ولن تقرَّر الدين المستقيم زهق الباطل. ولو سمح انا المكان لنقلنا هنا كثيرًا من الخرافات الصبيانية التي شاعت بين الملحدين الذين نكروا وجود الاله وعقائد الوحي الراهنة المبنيّة على اثبت البراهين واقوى الادلّة منقادين لبعض المزاعم الواهنة التي لا يقبلها العقل ويمجّها الذوق السليم فترى هذا لا يتجاسر ان يسافر يوم الجمعة اذ يُعدّ السفر فيهِ نحسًا. وذاك لا يجلس على مائدة يكون دُعاتها ١٣. كان الزنديقان الفرنسويّان ديدرو ودالمبرت يرتعبان من تأثير العين ورصود المشعوذين. وكان الملحد هوبس الانكليزي يُذعر مما يطرأ عليهِ من الأحلام. وكان ملك بروسية فردريك الكبير اذا رأى اسباخ الاكل والملاعق على المائدة مصلّبة استطار لنظرها خوفًا. وكان ڤولتار ترتعد فرائصهُ اذا سمع صوت الرعد فيستتر تحت قبة الاجراس. وكان اسكندر دوماس الراوية يزاول فتح الفأل ويرى لتقاطيع الكف اسرارًا. واتخذت جرج سند الكاتبة الشهيرة لها الهًا اخترعهُ مخيلتها ودعتهُ كورامبو وكانت تسجد لهُ مرتعبة امامهُ. وكان زولا القصّاص ينسب للاعداد قوّة غريبة فيجمعها او يطرحها او يضربها او يقسمها ولا يتصرّف بالعمل الّا اذا وافقت ظنّهُ. وكان اذا خرج من دارهِ قدَّم الرجل اليسرى على اليمنى لزعمهِ انّ لليسرى فعلًا صالحًا بخلاف اليمنى. وهذه الخرافات التي كان هؤلاء المدّعون بالعلم يعتقدونها لم يبنوها كما ترى على غير اوهامهم فكأن الله كما يقول القديس بولس (رومية ٢ : ٢١) يعاقب هؤلاء جحدة اللاهوت وحقائق الدين بأن

يسلمهم الى اهواء قلبهم والى رأيهم المرذول حتى يعملوا ما لا يليق ويعتقدوا ما لا يقطع عقل انسان

السكك الحديديَّة في اوربَّة سنة ١٩٠٧ — نشرت وزارة الصنائع والفنون في فرنسة جدول السكك الحديديَّة في اوربَّة وقابلت بين حالتها في العام ١٩٠٧ والعام السابق فنذكر هنا البلاد على نظام ترقيها. اما الاقيسة فعلى حساب الكيلومتر:

اسماء البلاد	خطوطها سنة ١٩٠٦	خطوطها سنة ١٩٠٧	زيادتها
روسيا وفنلندة	٥٥,٠٠٦	٥٦,٦٧٠	١,٦٦٤
النمسا والمجر	٣٩,٩١٨	٤١,٢٢٧	١,٣٠٩
المانية	٥٦,٤٧٧	٥٧,٣٧٦	٨٩٩
فرنسة	٤٦,٤٦٦	٤٧,١٤٢	٦٧٦
اسوج	١٢,٦٨٤	١٣,١٦٥	٤٨١
بريطانية العظمى	٣٦,٧٦٠	٣٧,١٠٧	٣٤٧
بلجيكا	٧,٢٥٨	٧,٤٩٥	٢٣٧
اسبانية	١٤,٤٣٠	١٤,٦٤٩	٢١٩
دانيمرك	٣,٢٨٨	٣,٤٣٤	١٤٦
ايطالية	١٦,٢٨٤	١٦,٤٢٠	١٣٦
برتغال	٢,٥٧١	٢,٦٣٧	٦٦
سويسرا	٤,٢٨٩	٤,٣٤٢	٥٣
رومانية	٣,١٧٩	٣,٢١٠	٣١
هولندة	٣,٠٣٠	٣,٠٥٤	٢٤

اما بقية البلاد التي لم نذكرها فلم يزيدوا على خطوطها السابقة شيئاً

وفاة فلكي يسوعي — ننقل هنا الاسطر التي عرَّبتها مجلَّة المقتطف (ص ٥٤٢) من جريدة ناتشر العلمية وفيها خبر رزيَّة عظيمة اصابت العلوم الفلكية بوفاة احد مشاهير الفلكيين في الهند وهو الاب لافونت اليسوعي البلجكي قالت:

نمت اخبار الهند الاب اوجين لافونت العالم الطبيعي وهو في الحادية والسبعين من عمره كان استاذاً للعلوم الطبيعيَّة في مدرسة سنت زفير الكليَّة بكلكتا ثمَّ جعل رئيساً لها وبسعيه جمعت تلك المدرسة احسن الآلات التي توضّح بها الحقائق العلميَّة. ولقد كان من امهر الاساتذة في التعليم ونشر الحقائق العلميَّة وبقي ثلاثين سنة عضواً في مدرسة كلكتا الجامعة وكان لهُ المقام الارفع في الدوائر العلمية وفي عيون اعيان الهند وبسعيه تمكن الدكتور «ماهندرا لال سركار» من انشاء المجمع الهندي لترقية العلوم. وسيبقى اسمهُ مقروناً بالتعظيم والتبجيل كأول روَّاد التعليم العلمي

في بلاد بتالا وفقده خسارة كبيرة على تلك البلاد ولا سيما في هذا الزمن الذي يراد ان يوضع فيه التعليم هناك على اسس علمية

اصغر مكتبة في العالم من مرويات البشير ان المسيو سالوموني مهندس مناجم اليامونت تمكن من جمع مكتبة يبلغ عدد مجلداتها ١٥٠٠ كتاب في مواضيع مختلفة لكنها كلها مكتوبة بخطوط غاية في الدقة او مصغرة بالفوتوغراف بحيث يمكن صاحبها ان يحملها بتمامها في محفظة سفر اعتيادية فيأخذ مكتبته معه حيثما سار. ومن كتب هذه الخزانة الغريبة ترجمة الياذة هوميروس الى الشعر الايطالي التي لا يزيد طولها عن الربع الحيدي وقس عليه سائر المجلدات . واكثر هذه الكتب من هولندة

ثمن احدى صور المصور رافائيل افادت اخبار رومية ان المسيو مورغان الثري الاميركي الشهير قد ابتاع صورة العذراء مريم من صنع رافائيل المصور الايطالي الشهير في القرن السادس عشر فدفع في حقها ٢,٥٠٠,٠٠٠ فرنك وسيزين بها قصر ألدوبرنديني الذي اشتراه مؤخرًا في رومية

معامل الورق ان انتشار المطابع وتوفر المطبوعات ولا سيما الجرائد يستدعي توسيع صناعة الورق وانشاء معامل جديدة لاستحضاره . وغاية ما كان ينفق منه قبل عشرين سنة كان لا يكاد يتجاوز ٨٠٠,٠٠٠,٠٠٠ كيلو وفي السنة المنصرمة كاد يبلغ ١,٦٠٠,٠٠٠,٠٠٠ كيلو تتخذ الولايات المتحدة في اشغالها ومطبوعاتها نحو نصف هذا المقدار ثم يليها المانية ثم انكلترة ثم فرنسة ثم النمسة ثم ايطالية

أسئلة وأجوبة

س عاد جناب الفاضل مراد افندي البارودي وطلب منا زيادة ايضاح في مختصر جغرافية الادريسي المعروفة بنزهة المشتاق ومخترق الآفاق وما يوجد بين المختصر المطبوع في رومية من اللاقة مع المختصر الذي ذكره صاحب كشف الظنون اذ قال « والمعروف انه اختصره بعضهم » مختصر نزهة المشتاق للادريسي

ج نجيب على هذا السؤال ان المستشرقين الذين وصفوا كتاب الادريسي ومخطوطاته الكاملة او المختصرة لم يزيدوا بيانًا على ما اثبتناه سابقًا في جوابنا الاول لجناب المستفيد (ص ٣٢٠) واذ لم نطلع نحن عيانًا على هذه المخطوطات فلا يمكننا ان

نجيبهُ جواباً شافياً يروي غليلهُ. وغاية ما امكننا استخلاصهُ من اوصاف العلماء التي فيها تباين والتباس عظيم انَّ الشريف الادريسي ألَّف كتابهُ نزهة المشتاق لروجار صاحب صقلية ومن هذا الكتاب اربع نسخ نسختان في باريس ونسختان في اكسفرد واجود هذه النسخ واكملها نسخة باريس الموسومة بالعدد ٢٢٢١ وهي كاملة وفيها ١٩ خارطة ومثلها في الجودة نسخة اكسفرد التي عددها ٣٨٣٧–٣٨٤٢ الَّا انَّها ناقصة. ومع نفاسة هذا الكتاب الجليل لم يُطبع منهُ حتى الآن الَّا بعض الاقسام كوصف الشام ووصف ايطالية ووصف المغرب. الَّا انهُ نُقل بتمامهِ الى الفرنسويَّة بهمّة العلامة جوبرت (Jaubert). ويظهر ايضاً انَّ الشريف الادريسي صنَّف للملك غليلم الاول كتاباً جغرافياً اوسع دعاهُ روض الانس ونزهة النفس وهو اليوم مفقود قال العلامة دوزي «ان ابا الفداء استعان بهِ في كتابهِ تقويم البلدان ودعاهُ كتاب الممالك». اما المختصر المدعو نزهة المشتاق في ذكر الامصار والاقطار والبلدان والجزائر والآفاق، فيُعرف منهُ ست نسخ والمستشرقون لا يعيرونها كبير بال ولذلك يعدّونها دون وصفها او الثابتة بينها. وعلى رأي العلامة جوبرت ان النسخة المطبوعة في رومية سنة ١٥٩٢ هي المختصر الموجود في خزانة كتب باريس وانَّها هي التي نقلها سنة ١٦١٩ العالمان المارونيَّان جبرائيل الصهيوني وحنا الحصروني الى اللاتينية وسمَّاها بالجغرافية النوبية (Geographia Nubiensis) هذا محصَّل بحثنا في هذا الشان وان اسعدنا الحظ في سفرنا قريباً الى اوربة ان نراجع هذه المخطوطات فعلنا ان شاء الله فيمكننا ان نزيد المستفيد ايضاحاً

س وسألنا احد افاضل الارمن الكاثوليك في اي سنة طُبع اوَّل كتاب في اللغة الارمنيَّة واين طُبع

تاريخ الطباعة الارمنيَّة

ج المرجَّح انَّ اوَّل من طبع كتاباً باللغة الارمنيَّة هو ابجر الطوقاتي وكان جاثليق الارمن الغريغوريين ميخائيل السيواسي ارسلهُ سنة ١٥٦٣ الى رومية ليقدّم للحبر الاعظم بيوس الرابع صورة ايمانهِ فتعلَّم هناك سبك الاحرف الارمنية على نفقة الكرسي الرسولي وبهمّة البابا القديس بيوس الخامس ثم سافر الى البندقية فطبع فيها كتاب المزامير سنة ١٥٦٥ وهو اوَّل كتاب طُبع بالارمنية ثم طبع كتاب التسابيح

والفرش الكتاني. ولمّا توفي الجر قام بعده ابنهُ المدعو سلطان فجرى على صناعتهِ وعمّم الطباعة الارمنية
ل . ش

س وسأل حضرة الاب انستاس الكرملي عن اصل ومعنى الالفاظ المعرَّبة الآتية : «المنتيَّة . البارمنتي . اللاطية . الكوكوليون . الانالابون . وكلمة جسكالا»

اصل بعض الالفاظ الاعجميَّة

ج المنتيَّة (μανδύας) رداء طول يلبسهُ الاساقفة في الرتب الكنسيَّة . والبارمنتي (παραμανδύας) ثوب رهبانيّ يُلبس فوق المنتيَّة . والكوكوليون (من اللاتينيَّة cucullum ومنها اليونانية κουκούλλιον) هو غطاء يُجعل على الراس كالاسكيم . والانالابون (ἀνάλαβος) ثوب ذو لفقين يُجعلان على الصدر وعلى الظهر ويُدخَل الراس في وسطهما يوافق ما يدعوهُ المحدثون باسم (Scapulaire) . امَّا جسكالا فهو اسم مدينة في الجليل تُعرف اليوم باسم الجشّ امَّا اصل الكلمة فلا نعلمهُ ولعلَّهُ تصحيف «جش قلعة» اي قلعة جشّ كما يقولون «روم كَلا» يريدون قلعة الروم

س وسأل من طرابلس صاحب الفضل حكمت افندي شريف ما هي اصح كتابة لاسم عبدالله القرعلي الحلبي مطران بيروت ومؤسس الرهبانيَّة اللبنانية الذي نشرنا ترجمتهُ في المشرق (١٠ : ٥٢٥) للاب توما البودي اهو قرألي بالهمزة بعد الالف المهملة او قراعلي بالعين لأنَّا تردَّدنا في كتابة هذا الاسم

المطران عبدالله قراعلي

ج سبق حضرة الاب انطون ربَّاط فاجاب على هذا السؤال في الحاشية الرابعة من الصفحة ٦٢٦ من المشرق (السنة العاشرة) حيث قال انَّ النسخة التي نشرها المتضمنة سيرة حياة المترجَم والمكتوبة من تلميذه البودي روت اسمهُ بالعين (قراعلي) وقد وافقهُ بذلك معاصروه . امَّا المحدثون فقد رووا اسمهُ بالهمز (قرألي) كأنهم لشتقوهُ من التركية «قرا ال» او «قرا اللى» اي اليد السوداء او الاسود اليد . ولعل الاسم الاوَّل اصح لان اهل زمانهِ اعرف باسمهِ من المحدثين فيكون معنى الاسم «علي الاسود» . وفي برنامج الاديب الهمام يوسف افندي خطار غانم (ص١٢٣) ان الاسم مكتوب على ضريح المترجم «قرألي» سنة ١٧٤٢ لكنَّ هذا لا يزيل المشكل اذ لم نعرف متى أُثبتت تلك الكتابة على الضريح أفي سنة الموت او بعد ذلك بزمان . ومن المحتمل ان يكون اصل الاسم بالعين ثمَّ جعلوه همزةً على دأب الذين يلفظون العين

همزة تليينًا فظنّوه قرا ألي. وتزيد على ذلك ان تقليد هذه الاسرة في حلب يوافق على كتابة الاسم بالعين قراعلي لا قراألي. والله اعلم

س وسأل الاديب وهبي افندي تقاري ما هي الروايات الادبيَّة التي يمكن تشخيصها في المدارس او الجمعيَّات الخيريَّة

الروايات التشخيصيَّة الادبيَّة

ج قد توفَّر منذ عشر سنوات عدد الروايات التشخيصيَّة المطبوعة ولا سيما في مصر الّا انَّ اكثرها غرامية لا تصلح للمدارس وللجمعيات الادبية. ومما يحسن تمثيلهُ في المدارس الروايات الآتية المأخوذة عن الكتب المقدسة او تاريخ الكنيسة كمأساة ايوب الصديق للاديب المعلم الياس لطف الله (طُبعت في القدس). ورواية الابن الضال لهُ (طبعت في الاسكندريَّة). ورواية داود الملك للخوري بطرس البستاني (طبعت في بيروت) ورواية حكمة سليمان جمعها القس افرام الديراني (طبعت في مطبعتنا). ورواية الحارث شعريَّة لخليل افندي طنوس باخوس (طبعت في بيروت). ورواية استشهاد مار توسيوس للمعلم سليم افندي حسُّون (في الموصل بمطبعة الدمنيكان). ورواية لطيف وخوشابا ترجمة نعوم افندي فتح الله سحّار (في الموصل). والمثل الاريجي في استشهاد الفتى المسيحي للخوري ميخائيل الرف (في مطبعتنا). ورواية السعادة في الشهادة للمعلم ميخائيل غفريل (في مطبعتنا). والدرَّة الفريدة في افدوكيا الشهيدة. لهُ لمدارس الاناث (طبعت في الحدث). ورواية القديس لويس غنزاغا للاديب يوسف افندي شبلي ابو سليمان (في مطبعتنا). ورواية وديعة الايمان في ضواحي لبنان لهُ (في مطبعتنا). ومن الروايات التاريخيَّة التي يحسن ايضاً تشخيصها في المدارس رواية الفراد الكبير بقلم شبلي افندي ملّاط (في بعبدا). ورواية الذخيرة من ترجمتهِ (في بيروت). ورواية رومانوس امبراطور الشرق بقلم عقل البشعلاني ويوسف البجاني (في بيروت). ورواية ابدالونيم ملك صيدون للاديب يوسف افندي شبلي ابي سليمان. ورواية الفارس الاسود للمرحوم نجيب حبيقه (في بعبدا). ورواية كريستوف كولومب (في الاسكندرية). هذا وقد ترجم بعض الكتبة عدة روايات افرنسية لكورنيل وراسين وغيرهما من الشعراء كالسيد وبريطانيكوس وعتليا وميروبا واوديب الّا ان تشخيصها يقتضي بعض التنقيح لدخول النساء فيها

ل. ش